

محمود تيمور

طه حسين كما يراه محمود تيمور

بقلم محمود تيمور

* * *

من الاقوال المأثورة عن « سومرست موم » القاص الانجليزي المعروف ، في التفرقة بين العبقرية والنبوغ ان اعمال العبقري تتسم بالشمول والاحاطة ، ولذلك يتنوع انتاجه ويتشعب ، ومثاله : « بلزاك » القاص الفرنسي ، فقد ضمت اعماله نماذج بشرية لا حصر لها . وكذلك « ليونار دي فنشي » الايطالي ، ذلك الفنان الذي جمع بين التصوير والنحت والهندسة والاختراع ، وهو بهذا الجمع والوصول فيه الى الذروة عبقري لا شك فيه.

اما النابغة فليست له الاحاطة والشمول ، واعماله — وان تفوقت منزعا وفنا — تدور في نماذج محدودة وموضوعات معينة . وبعض النقاد المعاصرين يضعون « هنري ترويا » في هذه الايام موضع « بلزاك » .

ولم يكن لي بد من هذه المقدمة لاقول رايي في « طه حسين » ، فهو جدير بلقب « العبقري » لان ما قدمه من انتاج ضخم متنوع متشعب فيه احاطة وشمول ، يرفعه فوق مرتبة النبوغ . وهو — فيما اعتقد — يناظر بأدبه المنثور الشاعر « شوقي » فيما نظم . كلاهما له في كل مقام مقال ، وفي كل ميدان جولات . فانت مع « طه حسين » تنتقل في رحلة طويلة ، رحلة فكرية ثقافية انسانية تتكشف لك فيها مجاهل ، ويرتفع الستار عن اسرار ، وبينما انت تغوص معه الى الاعماق ، تراك تسمو الى قمم وذروات ، وفي كل ذلك تحس بخفق قلب ، ورهافة حس ، واشراق روح . فهو حقا عبقري ، هو في مجال البحث رائد ، وهو في ميدان النقد معلم ، وهو في البيئة الجامعية استاذ اجيال ، ثم هو المعرف بالادب العالمي من قديمه اليوناني الى حديثه الفرنسي ، وفوق ذلك كله هو الفنان المبدع في قصصه ، وفيما كتب من سيرته الذاتية . واخيرا هو الروح الساري في حياتنا الفكرية على اختلاف مناحيها . ولولا انه عبقري ما اتيح ان يكون هذا كله .

س — كيف كان التعارف بينك وبين الدكتور طه حسين ؟

ج — في شبابنا الباكر ، ونحن نتتبع بشغف الحركة الادبية العصرية وطلائعها الجديدة جذب انتباهنا اسم الدكتور طه حسين ، حينما نال دكتوراه الجامعة المصرية القديمة ، وسافر الى فرنسا ، حيث حصل على دكتوراه الآداب من هناك ، وازداد تطلعنا اليه لما عاد الى الوطن استاذا في كلية الآداب ، يوالينا بمقالاته النقدية ، وكتبه الادبية ، وبحوثه المثيرة ، عرفنا اننا بازاء شخصية لها وزنها ، بل لها خطرها ، فلا عجب ان نتحين الفرص للقاء والتعارف ، فكان اول تلاق بيننا في عشاء اقامته شعبة نادي القلم الدولي بالقاهرة ، وكنا عضوين في الشعبة ، وما اسرع ان قوي بيننا التعارف ، ولا انسى لقائي معه في مدينة « ليدن » لحضور مؤتمر المستشرقين ، نزلنا في فندق واحد ، وناقشني في محاضرة لي في المؤتمر ، وذلك منذ اربعين سنة . والحادث الذي أثر في نفسي اعمق تأثير انه وهو وزير للمعارف مشغول بمهامه الجسام ، وقد انتخبت لعضوية المجمع اللغوي ، تفضل فتولى هو تقديمي الى المجمع في حفل الاستقبال التقليدي ، وكانت خطبته في تقديمي والتعريف بي جميلا يطوق عنقي ، وما زلت اذكر يوم الاستقبال ، وفي سمعي صوته الرنان الكريم . ونحن الآن في المجمع وفي غير المجمع نتلاقى ، وملء قلبي شعور الولاء لعميد الادب ، ورائد الفكر ، وامام الجيل ، امتع الله ببقائه ، واسبغ عليه العافية .

س — ما رايك في الخصومة بين الدكتور طه حسين والمرحوم الاستاذ العقاد ؟ وايهما تناصر ؟

ج — الواقع ان الدكتور طه حسين يعرف للمرحوم الاستاذ العقاد قدره ، ويزين أثره في الادب المعاصر ، وما تسمونه خصومة بينهما انما هو حركة طبيعية لاختلاف وجهات النظر ، ومنازع الراي ، وفي مثل هذه الحركة الطبيعية لا تكون المسالة مسالة انتصار لشخص دون شخص ، ولكن المسالة ان هناك قضايا ادبية وفكرية وفنية يدور فيها الجدل والنقاش حادا او هينا ، والادب هو الرابح من ذلك النقد الواعي المستنير بين قلمين لكل منهما وزنه وخطره .

القاهرة — محمود تيمور



القمـر

سـلام ايهـا القمـر المولـي ... بهت وكنـت أزهـى النيريـن
نزلت مـن العيـون مشيعـات ... هواك بدمعـة مـن كـل عـين
وأوحشت القلوب ، فـلا خفوق ... وكـان هـواك مـلء الخافقين
أحـق أنت مـن رضف وصخـر ... ولست مـن الـزمـرد واللجين
لقـد فجـع الجمال العلم لمـا ... اماط سناك عـن قبـح وشين
فضحت وما فضحتحديث خدر ... ولـم تكشف عـن المتعانقين
بريء فـي استراق اللحظ ترنو ... كليـل الجفـن بين الكلتين
وأبـرأ مـا تكـون اذا تـرآى ... خيالك مـن زجـاج الكوتـين
تؤانس وحشـة الباكـي مطـلا ... عليـه كدمعتـين بمحجريـن
بعـين تـرمـق الدنيـا ولكـن ... اليـه نـاظـر بالاثنتـين
وكم ماشيت فـي اللهو العذارى ... بدرب حديقـة وطريـق عـين
فكنت كوجـه فاتنتي وان لـم ... يكن لك منـه سحر الناظريـن
ومـا انساك تؤنسني وحيـدا ... طريـد صبابة وجريـح بين
تطـل علي مـن فـوق الروابي ... فاوشك ان انـالـك باليديـن
وأشبع منـك لا شفتي لثمـا ... فتقبيـل السنى بالمقلتـين

مشى الغازي عليك ، فقل تمهل ... اتعلم مـا طويـت بخطوتـين
طويت عهـود أحـلام وحـب ... فصارت منـك تحت الاخمصين
دعست على رؤى عيس وليلـى ... ودست هـوى جميل فـي بثين
وعهدا مـن هوى الصحراء عفـا ... تانـق فـي ظـلال الرافديـن
فأورثت الهـوى والشعر يتمـا ... فـوا أسفي ليتـم التوأمين

غـدا ليلي بلا قمر ، فمـن لـي ... بعهـدك يـا ليالـي الرقمتين
فكم قربت وجـه البـدر منـي ... فقرب بين مـن أهوى وبينـي
علـى مجـلاه في تلـك العشايا ... تلاقت عـين محبوبي وعينـي
كأن اللــه لـم يخلقـه الا ... ليطلـع ثالثـا للعاشقـين

فارس سعد



محمد عبد الغنى حسن

حركة الشعر والدراسات الشعرية

بقلم محمد عبد الغني حسن

***

لوحظ في السنوات القليلة الماضية اهتمام بنشر الشعر العربي القديم وتحقيقه على احدث طرق التحقيق والتخريج . وتجلت في هذا الباب جهود الهيئات العامة والخاصة وجهود الجماعات والافراد على السواء .

ويلفت النظر اعادة طبع دواوين الشعر القديم اكثر من مرة ، مما يشير الى كثرة الطلب له ، والاقبال عليه .

ونجد ذلك واضحا في ديوان « امرىء القيس » الشاعر الجاهلي بتحقيق الاستاذ محمد ابي الفضل ابراهيم ، على الرغم من صعوبة الشعر الجاهلي وغرابة الفاظه التي باعد الزمن بينها وبين قراء اليوم . ولم يكن ديوان امرىء القيس هو الوحيد الذي اهتمت باصداره احدى دور النشر الكبيرة القديمة في مصر ، فقد صدر عن هذه الدار طائفة من دواوين الشعر القديم كديوان الشماخ بن ضرار ، وديوان جرير ، وديوان مسلم بن الوليد ، وديوان ابي تمام بتحقيق الدكتور محمد عبده عزام . وشرح القصائد السبع الطوال لابن الانباري بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، وديوان البحتري بتحقيق الاستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفي . على ان الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر – بما آل اليها من تراث الدار القومية ، والدار المصرية للتأليف والترجمة ، ودار الكاتب العربي ، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر – قد أسهمت في اصدار طائفة من دواوين الشعر القديم ، وان كان اكثرها مما سبق صدوره عن القسم الادبي بدار الكتب المصرية ، كديوان حميد بن ثور الهلالي ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وديوان زهير بن ابي سلمى ، وديوان ابن الدمينة وغيرها .

ودفع التحمس لنشر الشعر العربي القديم معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، فنشر بعض الدواوين القديمة ، كديوان عمرو بن قميئة ، وديوان المتلمس الضبعي ، وهما مما حققه الشاعر حسن كامل الصيرفي على منهج سوي يتميز بالاضافة والتتبع في تخريج الاشعار ، والتوسع في الشرح والتعليق على نحو ما كان يفعل العلماء القدامى الاثبات في غير تحرج من الاتهام بالتطويل او « التزيد » . ولا يزال المعهد ماضيا في انجاز طائفة من دواوين الشعر الجاهلي على يد الثقات من المحققين ، كديوان الحادرة ، وديوان المثقب العبدي ، وديوان لقيط بن يعمر الايادي ، وديوان سلامة بن جندل ، وديوان عمرو بن كلثوم ، وديوان الحارث بن حلزة ، وديوان المرقشين الاكبر والاصغر .

ومن حسن الحظ ان لا يتخلف القطاع الخاص للنشر عن المبادرة في هذا الميدان ، كل على قدر جهده وسعته وطاقته في النشر والتوزيع . ومن اكبر الكتب في هذا الباب كتاب « ريحانة الالباء » للاديب الشاعر المؤرخ المصري الشهاب الخفاجي ، وكتاب « نفحة الريحانة » للاديب المؤرخ المحبي صاحب « خلاصة الاثر » ، وهما كتابان يصوران لنا حالة الشعر العربي في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري تصويرا يغير مفهومنا القديم الخاطىء للشعر العربي في هذين القرنين .

ويبدو ان البلاد العربية كلها بدات تتنبه للاهتمام بالشعر العربي القديم وابرازه في حلة من التوثيق الشديد ، والتخريج السديد . ويكثر الطلب على هذه الدواوين اكثر من الشعر المعاصر . ولعل لاتصالها بالمناهج والمقررات في الكليات والمعاهد العالية دخلا غير قليل في رواجها ، ووقوع الطلب عليها ، واعادة طبعها . كما أن الاهتمام في الدراسات الادبية والنقدية الحديثة بالموازنات بين الماضي والحاضر يجعل نشر هذه الدواوين القديمة امرا ضروريا في اقطار العالم العربي . ويضاف الى هذا ما يلاحظ اليوم من طلب التفيؤ بالظلال العربية القديمة ، والعودة الى امجاد القدم واصالاته بعد ما تورط فيه الجديد من ارتكاس وهزال ... فقد راينا مجمع اللغة العربية بدمشق يصدر طائفة جليلة من الدواوين القديمة ، كديوان عرقلة الكلبي ، وديوان عمرو الباهلي ،

وديوان ابن هرمة ، وديوان الخالديين ، كما راينا العراق يصدر عنه طائفة من الدواوين القديمة مثل ديوان أبي الشيص الخزاعي ، وديوان ابي الهندي ، وديوان مسكين الدارمي ، وديوان ابن الدهان الموصلي ، وهي من جمع الاستاذ عبد الله الجبوري او تحقيقاته ، الا ديوان المسكين فقد جمعه بالمشاركة .

ومن حسن الحظ ان بعض الدواوين القديمة التي تباح لها النشر اليوم كان الامل في وجودها مفقودا ، ولكن البحث والمتابعة والهداية قد هدت اليها بعد طول اليأس منها ، كديوان ظافر الحداد الشاعر الاسكندري الفحل — من شعراء العصر الفاطمي المتأخر ، فقد نشره الدكتور حسين نصار لاول مرة ، على الرغم مما قيل من ان ديوان ظافر الحداد قد فقد ، ولم يبق من شعره الا ابيات قلائل . ولعل العناية التي هدت الى هذا الديوان تلاحظ عيونها كثيرا من الدواوين القديمة التي كاد ينعقد القول على ضياعها .

ولكن اذا نظرنا الى عدد الدواوين الشعرية القديمة التي تنشر عن دار واحدة بالنسبة الى جملة ما تنشره هذه الدار من انتاج متنوع في مختلف فنون التأليف رأينا أن حظ الشعر لا يزال ضئيلا جدا ، وان عناية اكثر بنشر الشعر القديم لا تزال مرجوة . ولقد بلغ مجموع انتاج « الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر » منذ قيام نواتها : « الدار القومية » ما يقرب من ٤٥٠٠ كتاب ، كان حظ الشعر العربي القديم منها لا يتجاوز البضعة عشر ديوانا ... وهي نسبة هزيلة جدا بالنسبة الى مجموع الانتاج كله لهذه الهيئة العامة ذات الامكانيات التي لا تتاح لجهات خاصة . على ان حظ الشعر المعاصر منها ليس افضل حالا من حظ صاحبه القديم ! فانه ما يزال قليلا جدا بالنسبة الى مجموع الانتاج كله . فان ما نشر من هذا الشعر المعاصر لا يتجاوز المائة ديوان ، تجمع بين الشعر العمودي ، والشعر الجديد المتحرر او المنطلق ... وهي نسبة — على الرغم من ارتفاعها بالنسبة الى الشعر القديم — لا تزال منخفضة .

ومن الطريف ان نصرح هنا بأن كثيرا من دور النشر الخاصة يحجم عن نشر دواوين الشعر المعاصر لضعف تسويقها ، وقلة الطلب لها ، وبقائها على ذمة البيع سنوات يطبع فيها الكتاب العادي غير مرة . ويشترط اكثر الناشرين ان يسهم الشاعر بحصة مالية في نشر ديوانه ضمانا لاسترداد الناشر تكاليف الطبع ... ويعد اقدام ناشر على طبع ديوان من الشعر المعاصر مجازفة مادية لا ضرورة الى ارتكابها ..!

اما الشعر المترجم عن غير العربية ، فهو اما ان يكون ترجمة عن لغات شرقية كالفارسية والتركية ، او ترجمة عن لغات اجنبية اخرى . وقد اسهمت « الهيئة العامة للتأليف والنشر » في الشعر المترجم عن اللغات الشرقية بكتاب « مختارات من الشعر الفارسي » للمرحوم الدكتور محمد غنيمي هلال ، وبدواوين البستاني ، وجني الثمار ، وجيتنجالي ، والهلال للشاعر تاغور . وهي مشاركة ضئيلة جدا ، واضأل منها مشاركات القطاع الخاص في هذا الميدان ، لولا الجهود الفردية لاستاذ متخصص ، كالدكتور حسين مجيب المصري . وقد كان للجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب مقترحات وتوصيات في هذا المجال ، أذكر منها تكليف المرحوم الاديب حسن احمد باكثير — شقيق الشاعر المرحوم علي احمد باكثير — عمل شيء في هذا السبيل عن الادب الاندونيسي ، ولكن الموت طواه — بعد اخيه — قبل ان يتم عمله .

والحق ان ميدان ترجمة الشعر الشرقي الى اللغة العربية هو ميدان لا يجوز ان تغفله اجهزة النشر اليوم ما بين عامها وخاصها . وخاصة ان عندنا بمصر حفنة كريمة من ذوي الاختصاص بعد وفاة المرحومين الدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور موسى هنداوي ، والدكتور محمد غنيمي هلال . من امثال الدكاترة عبد النعيم حسنين ، ومحمد عبد السلام كفافي ، واحمد السعيد ابراهيم ، وحسين مجيب المصري بارك الله في اعمارهم.

اما الشعر المترجم عن لغات اجنبية اخرى فقد ظهرت فيه محاولات الا انها لا تزال قليلة جدا ، ولعل نصيبها من الضآلة وعدم الاهتمام هو نصيب الشعر كله : موضوعا ومترجما ، قديما وحديثا ... وقد صدرت عن « الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر » — منذ عهد الدار القومية الى اليوم — حفنة قليلة جدا في هذا الباب ، منها « الحرية والحب » ، وهو مختارات من الشعر المجري ، و « عيون الزا » و « قصائد من ديوان بريخت » و « مختارات من شعر الكفاح السوفييتي » و « قصائد من لوركا » ولكن الحصيلة في جملتها لا تزال محتاجة الى مزيد من الرعاية والاهتمام بالتوسع في هذا الميدان .

اما الشعر المسرحي — او المسرحيات الشعرية — فلا يزال محتاجا الى مزيد من الالتفات من الشعراء ، والاهتمام من الناشرين . وقد اشترك في المسرح العربي المعاصر الشعر العمودي والشعر الحر على السواء . ولن يفوتنا ان نسجل هنا جهود الشاعر الاستاذ عزيز اباظة في هذا الميدان ، بما كان له من مسرحيات قيس ولبنى ، والعباسة ، والناصر ، وشجرة الدر ، وغروب الاندلس ، وشهريار ، وزهرة . كما اشترك الشاعر عبد الرحمن الشرقاوي بمسرحية « مأساة جميلة » و « الفتى مهران » من الشعر الحر ، والشاعر صلاح عبد الصبور بمسرحية « مأساة الحلاج » التي يصفها الباحث الناقد الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي — استاذ الادب العربي بجامعة مانشستر وكلية دار العلوم — بأنها « انضج ما

جادت به قرائح رجال الشعر الحر ، واقربها الى شروط المسرحية كما يتوقعها النقاد المعاصرون » . ولا يزال الميدان ينتظر الكثير من الشعر المسرحي بلونيه القديم والجديد ، فأن هناك كثرة من الشعراء المعاصرين ، ولكن هناك ندرة في الانتاج الشعري المسرحي . ولا ننكر ان الموهبة هنا هي الاساس والمعتمد ، ولكن بعض التشجيع والرعاية – في مجال النشر وفي مجال المسرح نفسه – مما يرفع حصيلة هذا الباب ، ويزيل بعض الموانع التي تحول دون هذا اللون من الشعر المسرحي .

واذا كانت القلة والندرة هي طابع المسرحيات الشعرية في مصر ، فأن الحال نفسه يظهر في بعض الاقطار العربية الشقيقة مثل سورية التي يحاول فيها الشاعر عدنان مردم بك ان ينمي المسرحية الشعرية بما ظهر له من مسرحيات « الحلاج » و « العباسة » وغيرهما .

اما الدراسات المتصلة بالشعر فمن حسن الحظ ان نصيبها من النشر والصدور اكبر من نصيب الشعر نفسه ، وكان الواجب ان يتبادلا في السير ، فلا ينفسح المجال للدراسات حول الشعر على حين يضيق بالشعر نفسه وهو موضوع الدراسة ومدارها . وقد اسهمت « الهيئة العامة للتأليف والنشر » بنصيب لا بأس به في هذا الميدان يقارب الخمسين كتابا ، واغلبها دراسات حول الشعر والشعراء العربي ، القدامى والمحدثين . واقلها دراسات حول موضوع الشعر كفن من الفنون . واغلبها مؤلف ، واقلها مترجم ، مثل كتاب « الشعر والتأمل » لهاملتون . واذا كان بعض هذه الدراسات قد تناول شعر الدكتور احمد زكي ابو شادي ، والعقاد ، واحمد شوقي ، وفدوى طوقان ، فاننا نرجو ان تتجه الدراسات نحو طائفة من شعرائنا المعاصرين والمحدثين الذين لم يأخذوا حظهم من الانصاف ، مثل احمد محرم ، واحمد الكاشف ، واحمد نسيم ، وعلي القاياتي ، وفخري ابو السعود ، ومصطفى صادق الرافعي ، وحسن القاياتي ، ومحمد الهراوي ، ومحمد الاسمر ، وعبد الحليم المصري ، وحفني ناصف ، وولي الدين يكن ، واحمد الزين ، وابراهيم ناجي ، وعلي الجارم ، ومحمد عبد المطلب ، وفؤاد بليبل ، ومحمد عثمان جلال ، ومحمود صفوت الساعاتي ، ونجيب الحداد وغيرهم . ولا بأس هنا ان نشير الى جهد « دار المعارف » في هذا السبيل ، بما تنشره في « مكتبة الدراسات الادبية » من مؤلفات رصينة ، كما ان دور النشر الخاصة لها مشاركات لا بأس بها في هذا المجال . وما اكثر حاجتنا هنا الى ترجمة الدراسات الاجنبية حول الشعر العربي القديم والحديث ، ونشرها بجانب الدراسات المؤلفة باللغة العربية . ومن المشاركات في هذا الباب كتاب « الشعر العربي في الاندلس » للمستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي ، وترجمة الدكتور محمد منير مرسي ، وكتاب « الشعر الاندلسي » لاجارثيا غومس الاسباني وترجمة الدكتور حسين مؤنس ، و « حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث » لموريه الفرنسي وترجمة سعد مصلوح ، وهي من منشورات الجهات الخاصة .

وياحبذا لو اتجه التأليف في الدراسات حول لشعر العربي الى الموضوعات التفريعية التي عالجها الشعر العربي القديم والحديث ، وهي موضوعات يفتقها الباحث المجتهد ، ويخرج جزئياتها على مر العصور ويؤلف منها موضوعا قائما بذاته ، مثل موضوع « الابوة في الشعر العربي » و « الامومة في الشعر العربي » و « الانسانية في الشعر العربي » ، و « البطولة في الشعر العربي » و « الاغتراب واللقاء في الشعر العربي » و « المساء والغروب والهامهما الشعراء » و « الطبيعة في الشعر العربي » و « الحب في الشعر العربي » و « فن التواريخ الشعرية » و « القلم في الشعر العربي » . وقد ظهرت بعض كتب تعالج بعض هذه الموضوعات مثل كتب الدكتور سيد نوفل في الطبيعة في الشعر العربي ، والقومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي للدكتورة عزيزة مريدن ، والمراة في الشعر الجاهلي للدكتور احمد الحوفي ، والتجديد في شعر المهجر للدكتور انس داود وغيرها ، ولكن الباب لا يزال مفتوحا لمعالجة موضوعات كثيرة تتصل بالشعر العربي على مدى العصور .

بقي مما يتصل بالشعر العربي دراسة الشعراء انفسهم والترجمة لهم ودراسة اشعارهم ، وجهود المؤلفين والناشرين في هذا الباب سائرة مطردة ، حتى لنجد هنا كتبا كثيرة عن شوقي ، وفارس بني عبس ، وخليل مطران ، والنابغة الذبياني ، وابن دقيق العيد ، وابن نباتة المصري ، وابن الرومي ، والشريف الرضي ، وابن الكيزاني ، والاخطل ، وحسان بن ثابت ، وكثير عزة ، وجرير وغيرهم ، ولكنا لا نزال ننتظر دراسات اكثر واكثر مما يكشف النقاب عن شعراء العربية في القديم والحديث ، ويعرضهم من وجهات نظر النقاد والباحثين ...

القاهرة **محمد عبد الغني حسن**

فاتنة تشكو

سمعها تقول لصاحبتها : تركتني ومضى

أأنت التي تشكين قد جلت الشكوى   وتبكين مثل الناس قد طمت البلوى
أمثلك في زهو الشباب وسحره   يبيت كبعض القوم يسال من يهوى
أمثلك يدنو طامعا في حبيبه   فيرتد مقهورا ولا يشهد النجوى
تقاسين حر الصد في وحشة النوى   غليل اوار لا يبل ولا يروى
وغمزا على الاحشاء لا يعرف الونى   وكربا على الايام لا يالف السلوى
تحسين لمح الهجر قسوة ظالم   مضى في تجنيه الى الغاية القصوى
كساك شحوبا في الشباب مباغتا   ذكرت به في الروض ريحانة تذوى
ولي بالهوى عهد فلست بجاهل   شجاك وقد طالعت في عينك الشجوا
ولو جاز ان تنسى فتاة فؤادها   نجوت من الماساة لكنها عدوى
نجوت من الذل المرير لعالم   تذوقين طعم العز في ظله حلوا
لقبلك من لاذت بأعظم عدة   من الحزم كي تسلو ، فما بلغت شاوا
اذن أين سلطان الجمال وسحره   وما قد سمعنا عنه من قصص تروى
عهدناه مختالا يميس تعاظما   ويملأ وجه الارض من تيهه زهوا
عهدناه ان نادى الملوك تصاغروا   وصاروا له في بعض ساعاته لهوا
ويا كم جثا الليث الهصور لشادن   يعابثه سخرا ويرمى به هزوا
وكم تركت شم الحلوم وقارها   وباتت بدنيا الحب هائمة نشوى
وكم ودع العقل الحصيف صوابه   لعابر لفظ ند من غادة عفوا
عهدنا الدميم الجهم يهوى بياسه   فكيف تردى الحلو في ذلك المهوى
اذا ما شكى الحلو الوسيم كغيره   فليس اذن للحسن في الكون من جدوى
بلاء كواه الله عمدا بناره   ليصبر ذو المرأى الدميم اذا يكوى
والا فكيف التاث في الناس منطق   فصرنا نرى الحسناء تهوى ولا تهوى
وما فتحت يوما منافذ قلبها   مخاطرة لكن أتى حبها سهوا
ترنحت اذ شاهدت وجهك ساهما   وضعضعني حزني المرير فما اقوى
وضايقني التفكير فيك وناء بي   أساك كاني قد حملت به رضوى
وكنت على فرط الهزال جميلة   ولا شيء مثل الحسن يخلب اذ يضوى
تطالعك الابصار فتنة ناظر   يكاد بها القديس في ديره يغوى
تذوب قلوب الناس حولك رقة   ويعتادها هم تظل به تدوى
ويا كم تمنت ان تكون حبيبة   اليك وظلت في صبابتها تجوى
اذن لرأيت القوم طوعك لهفا   يعيدون سلطانا لمجدك قد اقوى
ولاقيت من دنياك أنضر جنة   يهب نسيم الحب في ظلها رهوا
تذوب قلوب الناظرين سوى الذي   تصباك فاستعلى وشط به الشوى
أكان من الصخر الأصم فما درى   تفجر سحر منك لا يقبل الدعوى
أكان من الوحش الغبي فما وعى   تكامل حسن فيك سواه من سوى
عزاؤك ان التبر ملهاة جاهل   وذو العقل في الباساء لا يجد الماوى
اذا كدرت عيش العظيم شجونه   فيا رب صعلوك مضى يهنا الصفوا
الا ليت من يضنى بحب مبرح   يصح فيغدو من صبابته خلوا

الفيوم ـ دار المعلمات   محمد رجب البيومي

مربد البصرة وأثره في الادب واللغة

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

هذا العيد الالفي يقيمه العراق الحبيب ، حكومة وشعبا ، احياء لذكرى المربد ، سوق الاسلام الكبرى بعد خمود نشاطه وطول صمته بالف عام ، على هذا النحو من العظمة والابهة والجلال ، وامام هذه الهالة من اصحاب السعادة والسيادة والفضيلة وارباب العلم والادب والثقافة ، من عرب ومستعربين ، ومستشرقين ومستغربين ، نعم هذا العيد ، هو من بعض اثار هذه اليقظة العارمة وهذا الوعي لامجادنا العربية الذي اخذ يستبد بافكار الامة واحاسيسها . هذا العيد يسجل حدثا داويا في تاريخ العراق الحبيب ، كما يؤلف عطفة بارزة في يقظة الوعي القومي على الامجاد الغابرة ، وعطفة تطور في تاريخ البصرة وجامعتها .

اولاني القائمون على اعداد هذا المهرجان ، شرف المثول امامكم ، والتحدث اليكم عن المربد وعن شأنه في الادب واللغة والثقافة . فقبلت شاكرا ، وفي هذه السانحة تحقيق لرغبة جامحة لزيارة العراق وهي من اماني العمر الحلوة ، واجتماع بصحب كريم من رجالات الادب والفكر والعلم والثقافة فيه ، بينهم من الاصدقاء والاحباء وغيرهم ممن هم ملء العين والقلب ، من نفديهم بالمهج الغالية .

قبلت المهمة ويقيني ان بينكم من هو حقيق بمعالجة هذا الموضوع اكثر مني واطول باعا وارسخ قدما ، بعد ان تناءى عهدي بدراسة الادب وتدريسه وبعد ان وهنت صلتي بهذا كله ، وما انا اليوم سوى مكتبي ببليوغرافي موثق مقمش ، افنيت عمري في خدمة الثقافة العربية الاسلامية ، وخدمة خدامها . فان استقامت خطوط الصور التي احاول رسمها للمربد واثره عبر مراحل تاريخه ، واتضحت ملامحها امامكم ، بعد ان حاولت زحزحة التراب والغبار المتراكم فوقه عبر الاجيال ، خلال الف سنة ، وبعد ان تنوسي امره وتجاهله الناس فتوفيق من الله الذي افاض علينا ولا يزال يمن من نعمه وانواره .(*)

قام للعرب في الجاهلية والاسلام ، اكثر من ٢٥ سوقا ، تناثرت ساحاتها على ارجاء الجزيرة العربية ، اتى على ذكرها ووصفها جمهرة من المؤرخين والجغرافيين العرب (١) آخرهم في القائمة ، علامة العراق في اواخر القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين ، المرحوم محمود شكري الالوسي ، في كتابه : « بلوغ الارب في معرفة احوال العرب » (٢) ، فذكروا مواطنها وحددوا مواقعها ومواقيتها والاشهر التي تقع فيها ، وذكروا عاشرها الذي يجبي الضرائب ، ان كان لها عاشر . وقد ارخ حديثا لاسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، احد علماء دمشق ، واحد كبار ادبائها الاعلام هو الاستاذ الباحث المدقق ، سعيد الافغاني ، اذ وضع فيها كتابه الموسوم « اسواق العرب في الجاهلية والاسلام » انماز بالبحث والتحري والتدقيق فكان من مصادرنا الاولى في اعداد هذا البحث (٣) .

اشهر هذه الاسواق قاطبة عكاظ في الجاهلية والمربد في الاسلام . ولما كان المربد عكاظ الاسلام ، هو موضوع حديثنا كان لا بد

(*) القي هذا البحث في مهرجان « المربد » الذي اقامته وزارة الاعلام العراقية في البصرة من ١ حتى ٧ ابريل ١٩٧١ .

من ذكر خصائصه المميزة لاتصاف المربد بها كانت هذه السوق معرضا بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم لدينا اليوم .

فهي ، ولا سيما عكاظ منها ، مجمع ادبي لغوي رسمي له محكمون نضرب عليهم القباب ، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وادبهم ، فما استجادوه فهو الجيد ، وما بهرجوه فهو الزائف . وحول هذه القباب الرواة والشعراء والرجاز من عامة الاقطار العربية . فما ينطق الحكم بحكمه حتى يتناقل اولئك الرواة القصيدة الفائزة فتسير في اغوار الجزيرة وتلهج بها الالسن في الحواضر والبوادي . يحمل الى هذه السوق التهامي والحجازي والنجدي والعراقي واليماني والعماني والحضرمي كل الفاظ حيه ولغة قطره . فما تزال عكاظ بهذه اللهجات نخلا واصطفاء حتى يتبقى الانسب الارشق ويطرح جانبا المجفو الثقيل .

وعكاظ سوق تجارية كبرى لاهل الجزيرة عامة يحمل اليها التاجر من كل فج وصوب ، تجارته وصناعته ويعرض فيها كثير من الرقيق الذي ينشأ عن الغزو وسبي الذراري ويباع فيها بيع المتاع ، كما يبيع كل غاز سلبه .

وعكاظ معرض لكثير من عادات العرب واحوالهم الاجتماعية .

وهي ايضا ندوة سياسية عامة تقضي فيها امور كثيرة بين القبائل . فمن كانت له اتاوة على قبيلة ، نزل عكاظ فجاؤوه بها . ومن اراد تخليد نصر لحبه رحل الى عكاظ وخلده فيها شعرا . ومن اراد اجارة احد ، هتف بذلك في عكاظ حتى يسمع عامة الناس ، ومن اراد اعلان حرب على قوم اعلنه في عكاظ .

وكانت هذه السوق تقوم ، من العرب ، مقام الجريدة الرسمية في ايامنا هذه . فمن اتى عملا تاباه مروءة العربي ، شهروا امره بعكاظ ، ونصبوا له راية غدر ، فعرفوه ولعنوه واجتنبوه . ومن اراد ان يلحق امرا بنسبه استلحقه واعلن ذلك للناس في عكاظ . ومن اراد التبرؤ من قريب لسبب ما تبرأ منه علنا . واذا اطلق لقب على احد في عكاظ عرف صاحبه به وجرى له مجرى اسمه واسم ابيه .

وهكذا نرى ان الاحداث التي جرت في هذه السوق الكبرى ، وما اتصل بها من وقائع تمثل في جوهرها احوال العرب وطبائعهم ، في بيعهم وشرائهم ، وتخاصمهم وتفاخرهم ، وحربهم وسلمهم . فمعالمها لا تقتصر على مواد التجارة والصناعة ، بل تتعداها الى الادب والشعر والحرب والسلم ، والعادات والاعراف . ففي وصفها وصف لسائر اسواق العرب في جاهليتهم . فليس فيها سوق تساميها .

جمع المربد ميزات عكاظ في الجاهلية وخصائصها وزاد عليها ، كما سنرى . ومن الامور الجديرة بالملاحظة هنا ان اسواق العرب في الاسلام لم يكن لها الشان الخطير الذي تم لاسواق الجاهلية لسبب مهم وهو ان العرب في الاسلام تحضرت وسكنت الامصار وكثرت فيها الاسواق الدائمة تحوي كل انواع البضائع المعروفة ، فقد ورث المربد عكاظ وقضى على ما كان تتمتع به من ميزات منذ عصر الراشدين .

المربد ، لغة ، على وزن مفعل كمنبر ، ومعناه محبس الابل ومربضها . وقال الاخفش المربد على وزن مسجد كما قال بذلك الاستاذ الدكتور عمر فروخ (٤) ، والمربد ايضا بيدر التمر لانه يربد فيه فيشمس .

ومربد البصرة هذا ، متسع لابل تربد فيه للبيع وكان في الاصل سوقا للابل حتى اذا كان عهد الامويين صار سوقا عامة يخرج اليها الناس كل يوم ، كل الى فريقه وحلقته وشاعره تتعدد فيه الحلقات يتوسطها الشعراء والرجاز ويؤمها الاشراف وسائر الناس يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون .

وهكذا نرى ان المربد معرض لكل قبيلة كعكاظ تعرض فيه شعرها ومفاخرها وعروضها . فهو مجتمع العرب ومتحدثهم ومتنزه البصريين يؤمه منهم من عانى رخاوة المدن . وما زال يعلو شانه ويستجيب لاسباب الكمال حتى اشتد ولوع الناس به وارتيادهم له . فقد ينبت

فيه دور جميلة وتفاقم امره حتى صار من الضروري لكل احد ، في عصر العباسيين ان يغشى المربد ولو لترويح النفس وتمتيع البصر وترويض البدن ، الامر الذي حمل جعفر بن سليمان الهاشمي ، على قول جملته المأثورة « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد » .

وما زال المربد في مجده حتى خرب وخربت البصرة وتقلص العمران بينهما الى ان صار بين المربد والبصرة ، ثلاثة اميال خراب ، على عهد ياقوت الذي يقول « مربد البصرة من اشهر محالها . وكان يكون سوقا للابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس . وبه كانت مناظرة الشعراء والخطباء وهو الان بائن عن البصرة نحو ثلاثة اميال ، وكان ما بين ذلك كله عامرا وهو الان خراب » . (٥) .

مر نشاط المربد في ثلاثة ادوار متميزة كان شانه في كل منها مختلفا . يتفق الاول منه مع عهد الراشدين اذ كان يقتصر امره على التجارة غالبا وان لم يعدم يوما ان كان ساحة حرب او مسرح مآس ، فهو سوق البصرة ايام الراشدين ، واغلب ما يتاجر به التمر وما اليه والابل والسلاح والغنائم مما كان يقسم على المحاربين فيبيعه هؤلاء في المربد .

والدور الثاني هو عهد الامويين . فقد اتسعت السوق وكثر قاصدوها من الاطراف وازدهت بالشعر والشعراء والادباء والعلماء مما لم يكن في العهد الاول لانشغال الناس ، اذ ذاك ، بالجهاد والفتوح . وازدان هذا العهد بافحل رجاز وشعراء اخرجهم العهد الاموي ، ونخص بالذكر منهم جريرا (٦) والفرزدق (٧) والاخطل (٨) والبعيث (٩) وراعي الابل (١٠) وذا الرمة (١١) ومن الرجاز رؤبة (١٢) واباه العجاج (١٣) وابا النجم العجلي (١٤) .

اما الدور الثالث فيأتي بين آخر العصر الاموي والقرن الثاني للهجرة فقد نضجت فيه حركة المربد الادبية والعلمية . وكان من ابطال المربد اكابر النحاة ورواة الشعر والادب والشعراء .

بين البصرة والمربد

الكلام على المربد ، سوق البصرة ، يقتضينا ان نصف البصرة لمكانتها التجارية اذ انها ثغر العراق في الاسلام . فليس من سبيل لفهم المربد على حقيقته ما لم نعرف احوال البصرة .

البصرة بلد قديم كان في الجاهلية من ثغور العراق ، فيها خليط من امم شتى من فرس وهنود واقباط وعرب نزلوها منذ القديم اذ كانت مركزا للتجارة الداخلية والخارجية .

مصرت البصرة سنة ١٧ هجرية على تخطيط وضعه لها الخليفة عمر، رضي الله عنه، وارسل من يقف على تنفيذه . وفي السنة التالية مصر الكوفة . ولم تكن على عهد الراشدين بالمدينة الكبيرة لحداثة نشأتها العربية . وقامت في بقعة مستوخمة ، رديئة الهواء والماء ليست بالخصبة ولا بالفنية وبقي امر البصرة على حالها لم تترق الى خير حتى صدرا في ايام الامويين . وبانقضاء عهد الفتن فيها واستقرار الامر انصرف اهلها لشؤونهم فعكفوا على الزراعة والتجارة فاستفاض لهم زرع ونخيل وتجارة .

وما انقضى القرن الهجري الاول حتى كانت البصرة قطعت شوطا بعيدا في الازدهار ، وما ان استقر الامر لبني العباس ، في عهد المهدي ومن بعده ، حتى صارت البصرة « باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وانواع السلع المجلوبة من اطراف الدنيا تقصدها القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رجال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين الى مفازر الصحراء الكبرى . ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصناعات وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه » (١٥) .

اشتهر اهل البصرة ، من قديم ، بالتطوح في الآفاق ، والترامي على الاسفار البعيدة والضرب في مناكب الارض ، طلبا للرزق والتماسا للشراء ، الامر الذي حمل الجاحظ على التصريح قائلا « بان ليس في الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ، ولا طرفا من اطراف الدنيا الا وانت واجد به البصري والمدني » (١٦) وهمة البصريين في الارتحال وغورهم في الاغتراب معروف لدى اصحاب الرحلات ، مما حمل ابا بكر الهمذاني على القول « ابعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري ، فمن دخل فرغانة القصوى شرقا والسوس الاقصى غربا لا بد ان يرى فيهما بصريا او حميريا » (١٧) .

وحذق البصريون الزراعة وعكفوا عليها وجودوها واختصوا بمعرفة النخيل وضروبه واصول غرسه ، اختصاصا فاتوا به غيرهم . وبهذا يقول الهمذاني في كتابه « البلدان » ب « لاهل البصرة من النخيل وانواع التمور ما عدم مثله في جميع كور النخيل » وذكر الجاحظ انهم احصوا في ايام المعتصم ، من اصناف نخيل البصرة ، دون سائر البلدان المعروفة بنخيلها ، فاذا به ثلاثمائة وستون ضربا ، يتصل نخيلها من عبداس الى عبادان ، نيفا وخمسين فرسخا متصلا لا يكون الانسان منه الا بحيث نهر ونخيل او يكون بحيث يراهما (١٨) .

مركزها العلمي والادبي

وللبصرة الى هذا كله شهرة اخرى لا بد من التشديد عليها في ما يعنينا من هذا البحث . فقد استفاض فيها من علوم ولغة وادب وشعر حتى صارت تقصد لذلك دون سائر البلاد . فكثر فيها العلماء والشعراء والادباء والكتاب والقراء والنحاة يعملون على وجه ومنهجية ومذهب ورأي خاص عرف بمدرسة البصريين (١٩) ، خالف راي الكوفيين ومدرستهم (٢٠) .

بنيت البصرة والكوفة في العامين الثاني والثالث لخلافة عمر ، رضي الله عنه ، الذي انزل في الكوفة انصار المدنيين وآل ابي طالب الذين كانوا يريدون الخلافة بعد رسول الله للامام علي ، كما انزل في البصرة خصومهم السياسيين . وجاء الامام علي وثارت الحرب بينه وبين عائشة وطلحة والزبير في معركة الجمل فكان اهل الكوفة مع الامام علي ، كرم الله وجهه ، واهل البصرة مع عائشة وطلحة والزبير، وهكذا فقد اتفق ان يكون اهل الكوفة مخالفين لاهل البصرة في اللغة والنحو ايضا .

يقال ان اول من شغل باله بالنحو هو ابو عمر عيسى بن عمر الثقفي ١٤٩ هـ - ٧٦٦ م وكان من اهل البصرة واتجه عيسى بن عمر في اللغة والنحو الاتجاه الذي عرف به علماء اللغة والنحو البصريون: التمسك بالنص والمثل كما سمعا من البدو من غير تحكيم لقاعدة او تذليل لمنطق . وكان للبصريين رأي اشد خطرا من ذلك ب كانوا ياخذون بالتواتر اذ كثر سماع اللفظ الواصل اليهم من الاعراب سواء اسمع هذا اللفظ من الاعراب الف مرة ام سمع من اعرابي واحد مرة واحدة. اما الكوفيون ، فقد احترموا اللفظ الواصل اليهم من الاعراب ، سواء أسمع هذا اللفظ من الاعراب الف مرة او سمع من اعرابي مرة واحدة ذلك لان الاعراب في نظر الكوفيين يتكلمون سليقة فلا يخطئون . ثم يخطو الكوفيون خطوة ابعد فيعدون ذلك الذي سمع مرة واحدة من اعرابي واحد ، اساسا للقياس عليه .

يحلل الدكتور عمر فروخ هذا الاختلاف في الرأيين بين البصريين والكوفيين بالنظر الى موقع كل من البصرة والكوفة الجغرافي . فقد كانت البصرة اقرب الى البادية ، حقيقة ومجازا ، وكان الاعراب اكثر ورودا الى البصرة ، وبالبصرة كان المربد يتوافد اليه الاعراب للبيع والشراء ، ولانشاء الشعر والقاء الخطب . من اجل ذلك كان

علماء البصرة اكثر لقاء للبدو واكثر اخذا عنهم ، ثم ان الكوفة كانت اكثر ايغالا في العراق واكثر سوادا اي زراعة واشد صلة بغير العرب . فاعتاض علماء الكوفة عن سماع الاعراب بالاتجاه نحو القياس المنطقي .

الا ان هذا لا يعني قط ان البصريين اكتفوا بالسماع ولم يلجاوا الى القياس البتة ، ولا ان علماء الكوفة لزموا القياس ولم يتزحزحوا عنه الى قبول السماع . ان علماء المذهبين قد اخذوا في اول الامر بالمبدئين : مبدأ السماع ومبدأ القياس ، ولكن المتأخرين من علماء البلدين اتخذوا اللغة والنحو وما اليهما من مشكلات ميدان معركة لغوية كما كانوا قد اتخذوا من الخلافة ميدان معركة سياسية دينية (٢) .

اثر المربد في الادب والشعر والثقافة والنحو

من يرجع اليوم الى فهارس اصول الادب الكبرى كالاغاني والامالي والبيان والتبيين او الى فهارس تاريخ الطبري او الى الكامل للمبرد يدهش لكثرة الاحالات الى المربد ، اذ يجد ان اكثر مادة هذه المصادر في ما عاد منها للعصر الاول والثاني للهجرة ، المربد ميدانه وينبوعه .

لعكاظ ذلك الاثر البعيد في اللغة العربية : الفاظها واساليبها ، وللمربد مثل هذا الاثر واكثر ، في اللغة والعلم والنحو والثقافة ، يختلف بعض الشيء عن اثر عكاظ لما بينهما من تباين في المكان والزمان والاجتماع وتطور الحضارة . فعكاظ في قلب الجزيرة العربية يحج اليها اشراف العرب وفصحاؤهم لا عجمة فيها ولا اثر لاعجمي . اما في المربد ، فالامر على عكس ذلك فهو في طريق الجزيرة على الخليج العربي ، بينه وبين الفرس قرب قريب . وزاد الاسلام والفتوح اختلاط العرب بالعجم فتطرق الى اللغة الفساد والعجمة واللحن وغشي هذا الضعف مجلس الخاصة من العرب وازرى بلهجات الفصحاء ولذا قصد اعلام اللغة والادب والشعر والنحو ، المربد يتلقطون ويتسقطون عن فصحاء الاعراب فيه .

يشبه المربد عكاظ في امر الشعر وحلقاته ، بل فاق عكاظ بمراحل واسعة وفاته بعدد الشعراء والرجاز وكثرة الرواد وطلاب العلم . فلكل شاعر حلقة ولكل متهاجيين مجلس ، ولكل قبيلة ناد وشاعر يذود عنها ويرد عدوان قريعة من القبيلة الثانية . فللعجاج ولرؤبة حلقة ولابي النجم العجلي حلقة ، ولجرير والفرزدق وراعي الابل وذي الرمة ، لكل منهم حلقة . فكثر هذا المحصول من الرجز والشعر والنكات الادبية كثرة ملأت امهات كتب الادب باخبارها . فمن المربد ، وعلى هامشه غذى الادب والثقافة بقصص واساطير كما غذى التاريخ بالاخبار والوقائع .

كان الادباء يخرجون الى المربد ويأخذون الادب من جمل بليغة وشعر رصين وامثال وحكم مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن ابائهم كما فعل الجاحظ ، اثقف رجال عصره بل من اثقف ادباء هذه الامة ومفكريها على الاطلاق ، في كل عصر ومصر ، اذ ان الجاحظ اخذ النحو عن الاخفش ، واخذ الكلام عن النظام وتلقى الفصاحة عن الاعراب شفاها بالمربد . وبذلك كان المربد مدرسة عملية تعلم الفصاحة ويهرع اليها طلابها من كل وجه ، ونبغ منهم عدد غير قليل .

اثـر المربد في اللغـة

اما في اللغة والثقافة العامة فقد كان للمربد ، باعتباره سوق البصرة شان عظيم في نشاة علوم اللغة والمعجمية والعروض وصقل الثقافة وتهذيب الافكار والآراء . فقد حظيت البصرة بما لم تحظ به بلدة من بلاد الاسلام ، بما تم لها من فرسان البلاغة واللغة والثقافة ، ويكفينا ان نذكر هنا مثالا على ذلك خمسة من فرسان البلاغة والعبقرية

هم : عبد الله بن المقفع وخالد بن صفوان والخليل بن احمد الفراهيدي والجاحظ والاصمعي .

كان ابن المقفع « توفي ١٤٢ هـ – ٧٥٩ م » كاتبا مترسلا من علماء البصرة وادبائها فصيح الالفاظ شديد الذكاء ، بارعا في البحث والتحليل وسرد القصص وضرب الامثال . ويكفيه شهرة وتنويها بذكائه وعلمه انه صاحب « كليلة ودمنة » وكتابي « الادب الصغير » و « الادب الكبير » .

وخالد بن صفوان « توفي ١٣٥ هـ – ٧٥٣ م » كان خطيبا مفوها وفصيحا بليغا لازم مسجد البصرة ليتعلم الاعراب ويتجنب اللحن ، كما كان راوية للاخبار بارعا .

اما الخليل بن احمد الفراهيدي فكان اماما في علم اللغة والنحو ومن الرواة والنسابين ومن العلماء الاعلام في عصره . فهو اول من استخرج علم العروض ، اي اوزان الشعر واحكامه ، واول من وضع معجما للغة العربية ، حسب مخارج الحروف ، هو كتاب العين .

اما الجاحظ فقد كان عجيبة الدهر ولا يزال علما وثقافة ولغة وادبا ودرسا لطبائع الانسان والحيوان . ولا اعتقد ان الثقافة العربية تمثلت في اديب تمثلها في شخصية الجاحظ .

وقد اوجز المرحوم احمد امين في « ضحى الاسلام » « جزء ٢ : ٨ » ما قدمناه اذ قال : كان المربد في عصر الخلفاء الراشدين والامويين مركزا سياسيا وادبيا نزلت فيه عائشة ام المؤمنين بعد مقتل عثمان ، تطالب بدمه وتؤلب الناس على علي . وكان المربد مركزا للمهاجاة بين جرير والاخطل والفرزدق ، فانتج ذلك نوعا من اقوى الشعر الهجائي كالذي نقرأه في النقائض . وكان لكل من هؤلاء الشعراء وغيرهم حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون ...

واستمر المربد في العصر العباسي ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذي كان يؤديه في العهد الاموي . ذلك ان العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب . واحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم امة لا فرق بين عدنانيهم وقحطانيهم، ولكنهم لم يستطيعوا المقاومة فقوي نفوذ الفرس وغلبوا العرب على امرهم وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي اقرب الى حياة الفرس منها الى حياة الاعراب ... وظهرت العلوم تزاحم الادب والشعر وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام وافسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول المربد يؤدي غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة .

وهكذا اصبح المربد غرضا يقصده الشعراء ، لا ليتهاجوا ولكن لياخذوا عن اعراب المربد الملكة الشعرية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وابو نواس وامثالهما ، ويخرج الى المربد اللغويون ياخذون عن اهله ويدونون ما يسمعون ...

والنحويون يخرجون الى المربد يسمعون من اهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم بعد ان اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة بالنحو وتعصب كل لمذهبه ...

وهنا لا بد من ان نطرح السؤال التالي . هل اقتصر اثر المربد وشانه على الشرق وانحصر فقط في العرب الذين كانوا في سواد البصرة والكوفة ، او انه انتقل الى ما هو ابعد من ذلك الى الغرب، والى الغرب الاقصى والى الاندلس بالذات ، بعد ان انتقلت اليها شهرة البصرة وشهرة مدرستها وعلمائها كما يذكر ذلك ابن حزم ؟ فاذا ما سلمنا بهذا الراي وهو ثابت ، برز على طرف اللسان سؤال آخر ، فاتساءل معكم ، هل تعدت ، والحالة هذه ، شهرة المربد وتعدى اثره الاندلس ، شمالا فاثر من قريب او بعيد في بعض ما استجد من الاعراف والعادات والمواسم التي قامت بين سكان فرنسا في الجنوب ، ولا سيما بين سكان الاكيتان والفوين والروسيليون وهي المتاخمة للاندلس ، في الشمال . فكانت المواسم والاسواق ولا سيما

مواسم اعياد الزهور واعمال الفروسية التي كانت تقام في هذه المقاطعات المذكورة ، خلال القرون الوسطى المتأخرة ، هل كانت هذه المواسم اثرا من اثار المربد في الشرق العربي ؟.

ففي هذا الخيال الرحب اتركم تهيمون لعلكم في تأملاتكم واصلون الى جواب شاف عن هذا كله يرضي العقل السليم ومنطق التاريخ ويكشف عن مآثر العرب المطموسة والمخبوءة هناك تنتظر من ينبشها لنا والسلام عليكم .

قائمة المراجع

١ – محمد بن حبيب اقدم المؤلفين وادقهم المتوفي سنة ٢٦٨ هـ – اليعقوبي المتوفي سنة ٢٧٨ هـ – الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » المتوفي سنة ٣٣٤ هـ – ابو حيان التوحيدي المتوفي سنة ٥٤٠ هـ في كتابه « الامتاع والمؤانسة » – المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١ هـ في كتابه « الازمنة والامكنة » – صبح الاعشى للقلقشندي ، المتوفي سنة ٨٢١ هـ – البغدادي المتوفي سنة ١٠٩٣ هـ في كتابه « خزانة الادب » .

٢ – طبعة ١ بغداد ، مطبعة السلام ١٨٩٩ ، طبعة ٢ بتصحيح وضبط الاستاذ محمد بهجت الاثري ، مصر المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٤ – ٢٥ .

٣ – طبعة ١ ، دمشق ، المكتبة الهاشمية ، ١٩٣٧ ، طبعة ٢ دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٠ في ٥٢٧ ص .

٤ – عمر فروخ « تاريخ الادب » ، جزء ٢ ص ٤٩ .

٥ – معجم البلدان لياقوت ، بيروت دار صادر دار بيروت ، مجلد ٥ ، ص ٩٧ – ٩٩ .

٦ – الاخطل : شاعر بني امية يمدحهم ويهجو خصومهم ، توفي عام ٩٥ هـ – ٧١٣م ، بينه وبين جرير والفرزدق هجاء قاذع على ما كان معظم الهجو بزمانه .

٧ – الفرزدق توفي سنة ١١٠ هـ – ٧٣٢م . احد فحول شعراء الاسلام ولد في البصرة واقام في باديتها قام بينه وبين جرير مهاجاة .

٨ – جرير ، شاعر اسلامي متقدم هو والاخطل والفرزدق من طبقة واحدة ، توفي سنة ١١٠ هـ – ٧٢٨م .

٩ – البعيث ، شاعر خطيب من اهل البصرة دخل في الهجاء بين الشعراء وهاجى جريرا مدة توفي سنة ١٣٤ هـ – ٧٥١م .

١٠ – راعي الابل ، شاعر هجاء ناقض نفرا من الشعراء منهم جرير ، توفي سنة ٩٠ هـ – ٧٠٩م .

١١ – ذو الرمة ، شاعر مكثر ، مطيل ، مجيد ، مشهور ، ولد في البادية وتردد على الكوفة والبصرة ، توفي عام ١١٧ هـ – ٧٣٥م .

١٢ – رؤبة بن عجاج من رجاز الاسلام وفصحائهم ، بصير باللغة قيم على غريبها .

١٣ – العجاج : شاعر من كبار الرجاز ولد في البصرة ، متين السبك ، مطيل ، وصاف للصحراء ، بينه وبين ابي النجم العجلي الرجاز مفاخرات ، ولد وتوفي في البصرة عام ٩٧ هـ – ٧١٥م .

١٤ – ابو النجم العجلي : من رجاز الاسلام والفحول المشهورين ومن الطبقة الاولى ، توفي سنة ١٢٠ هـ – ٧٣٨م .

١٥ – حسن حسني عبد الوهاب باشا – مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ١٢ : ص ٣٢١ .

١٦ – البخلاء ، طبعة مصر ، ص ١٦٠ .

١٧ – البلدان للهمداني – طبعة ليدن ، ص ٥١ .

١٨ – راجع في البصرة وتاريخها المؤلفات التالية :

– عبد القادر باشاعيان العباسي – البصرة في ادوارها التاريخية ، بغداد ، مطبعة دار البصري ، ١٩٦١ ، ص ١١٢ .

– سليمان فيضي ، البصرة العظمى ، بغداد ، دار التضامن ١٩٦٥ ، ص ٨٠ .

– حامد البازي – البصرة في الفترة المظلمة – بغداد ، ١٩٦٩ .

– ابن الغملاس ، ولاة البصرة ومتسلموها من عام ١٤ هـ حتى نهاية الحكم العثماني ، ١٣٣٤ هـ بغداد ١٩٥٧ .

– صالح بن احمد العلي ، البصرة في القرن الاول الهجري – طبعة ٢ بغداد ١٩٦٦ .

١٩ – راجع في هذه المدرسة ، عبد الرحمن السيد – مدرسة البصرة النحوية ، نشأتها تطورها – بغداد .

٢٠ – راجع في الكوفة حسين بن اسعد البراقي – تاريخ الكوفة ، طبعة ١٩٦٠ ، وفي مدرسة الكوفة راجع الدكتور مهدي المخزومي – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو – بغداد طبعة ١ ، ١٩٥٥ ، طبعة ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ .

٢١ – راجع حول نشأة النحو والنحاة ، الكتب التالية :

سعيد الافغاني – في اصول النحو – دمشق ١٩٥١ .

عبد الرحمن السيد – مدرسة البصرة النحوية : نشأتها ، تطورها ، بغداد .

ابو سعيد السيرافي – اخبار النحويين البصريين – نشره المستشرق كرنكو ، في الجزائر سنة ١٩٣٦ .

الزبيدي ، ابو بكر ابن حسن ، طبقات النحويين واللغويين – نشره في القاهرة الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .

القفطي ، جمال الدين ، انباه الرواة على انباه النحاة .

السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .

٢٢ – اضف الى ما تقدم المصادر التالية حول المربد :

ابن حوقل – صورة الارض – طبعة كريمرز ، ليدن ، ١٩٣٨ ، ج ١ ص ٢٣٦ .

البكري – معجم ما استعجم (متوفي سنة ٤٨٧ هـ) – نشر مصطفى السقا – القاهرة ، السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ مجلد ١ : ٢٥٤ ، مادة البصرة ١ : ٣١٦ ، مادة التفبوق .

محمد بن عبد الملك الهمداني – تكملة تاريخ الطبري – (متوفي ٥٢١ هـ) – نشر البرت كنعان طبعة ٢ – بيروت ١٩٦١ ص ٤٠ .

ياقوت الحموي (المتوفي سنة ٦٢٦ هـ) – المشترك وضعا والمفترق صقعا ، نشر وستنفلد غوتنجن ، سنة ١٨٤٦ – ص ٣٩١ – ٣٩٣ : باب المربد ، موضعان ص ٢٤٩ – مادة صفوان – موضعان .

ابن عبد الحق – (المتوفي سنة ٧٣٩ هـ) – مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، نشر علي محمد البجاوي – القاهرة ، ١٩٥٥ – مجلد ٣ : ١٢٥٢ : مادة المربد .

آراء وتعقيبات – المربد – مجلة « الاقلام » – العدد الاول – سنة ٧ شباط ١٩٧١ ص ٧٠ .

عبد الحميد العلوجي – ايام في المربد – بغداد ، ١٩٧١ .

سالم الالوسي – مقالة في المربد – جريدة المربد – العدد الثاني ، ٣٠ اذار ١٩٧١ .

يعقوب سركيس – البصرة . هل اصل الكلمة ارامي – مجلة سومر ٤ ، سنة ١٩٤٨ ص ١٣٦ – ١٤١ .

بلدان الخلافة الشرقية – تاليف لسترنج . نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد – بغداد ، ١٩٤٥ ص ٦٥ – ٦٦ .

احمد كمال زكي – الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري – دمشق ، ١٩٦١ .

الدكتور صالح احمد العلي – خطط البصرة – مجلة سومر ، ٨ ، سنة ١٩٥٢ ص ٧٢ – ٨٢ .

احمد امين – فيض الخاطر ، مجلد ٤ : ٢٧٨ – ٢٨٧ (نشر البحث اولا في مجلة الثقافة القاهرية) .

علي بهجة – قاموس الامكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح – مصر ، ١٩٠٦ .

علي ظريف الاعظمي – مختصر تاريخ البصرة – بغداد ، ١٩٢٧ ص ١٨ .

يوسف أسعد داغر

مشوق كثير الوجد معتكر الداء ... عواديه شتى من شجون وارزاء
طوى البحر سباحا الى غير غاية ... وفي البر لم يظفر بزاد ولا ماء
فاقبل نسرا ! من رأى النسر شاديا ... يغني مع الاطيار في الافق النائي ؟ (١)
تحوم به من صنعة العلم حدأة ... على كثب سخن الرمال ودأماء
تدوي كصمت من شجي معذب ... وحرية مذبوحة الصوت شماء
على قمم لا تبلغ الطير شاوها ... وفوق حقول جمة الخير خضراء
وصحراء صدت كل غاز وغاصب ... جبالي قبور الفاتحين وصحرائي
واودية تنساب رزقا مرقرقا ... حياة لماهول ودنيا لبيداء
فمن زهر ، كالغيد عطرا وفتنة ... شبابا ، فمن سمراء غنج وشقراء
واغصان بان اينعت تحت ماطر ... ومن عنب در وشهد .....
ومن نغم حلو تردده الصبا ... وعذراء من شعر الصبابة عصماء
نسائم لا تستاذن الروح ان هفت ... بطيب لارواح وعود لأرجاء
ينابيع فاضت بالبكاء فاضحكت ... رئات قرى بين الشعاب واحياء
ونخل طوال القد خضر حوامل ... تروق على نجد رفيع وبطحاء
يداعبها دمع من « العين » جاريا ... وما الدمع الا بعض شوق ولاوآء
احبت قلوب الراسيات جمالها ... ففاضت « عيون » من حنين وبأساء
كأن الورود الحمر في كل روضة ... خدود غوان في خمائل غناء
وكم مقلة لما رنت خلت نرجسا ... تلفت في لهو بريء وسراء
عمائم ماس باهر في شعافها ... حواسدها من كل شمس وجوزاء (٢)
تزيد جلالا في السماء ورفعة ... بعلياء مياض كالعمامة بيضاء
واخضر من غالي الزبرجد جيدها ... وجيد سواها من رغام وحصباء
تطرزها الاكواخ بالنور شائعا ... لآلىء لبات على صدر سوداء
وروض موشى سندسا ومعصب (٣) ... عروس تجلى في مواكب لألآء
وقفت على الوادي الانيق ، سهوله ... لحون بلا عود ترن ولا « نائي »
الذ مكان روضة تحت ربوة ... وخير غناء خالد فن بناء
وعصفورة رقت لخل فاقبلت ... تناجيه في لطف وعطف واغراء
كلانا غريب ضاق بالارض مسكنا ... وبالعالم الفاني منازل ضراء
تسائلني من انت ؟ قلت مشرد ... بلا فنن في شر كرب واعياء
ارى الظل في روضي لغيري وليس لي ... سوى حمم ، من غير ظل ، ورمضاء
فلا تعجبي ان جئت ولهان ظامئا ... الى حيث اجدادي العظام وآبائي
وان كنت لا تدرين يا جارة اعلمي ... فصنعاء يا عصفورة الشرق صنعائي

١ ـ اشارة الى الطائرة ، ٢ ـ الثلوج في اعالي القمم ، ٣ ـ الوشى والمعصب ملابس يمنية شهيرة.

عدن

علي محمد لقمان



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

ابو العلاء

كان الشاعر الكبير ابو العلاء المعري ، اول شاعر عربي قراته ، في الثانية عشرة ... وكان ذلك في ديوانه سقط الزند ..

وعندما كنت في آخر المرحلة الثانوية ، كان زميلي عبد السلام عباس المكاوي (النائب العام فيما بعد) ، يحدثني حديثا عجبا عن « رسالة الغفران » .. ويصف لي ابا العلاء ، الشاعر ، النباتي ، المفكر .. وصفا مؤثرا ، جعلني اتلهف على قراءته ، رغم خشية من ذلك ، ورهبة احسستها في نفسي .. فعمدت الى دار الكتب ، حيث قرات الرسالة في طبعة قديمة ..

وفي حوالي العشرين ، قرات اللزوميات ، في اربعة اجزاء كبيرة .. استعرتها ايضا من دار الكتب .. ثم اعدتها ، بعد احساسي بذات الرهبة والخشية ..

وكنت في مرحلة التقليد ..

وكان لا بد ان يكون لهذا الشاعر الساحر اثره ، في شاب مبتدىء ..

افاد سقط الزند في صقل الشعر ، واقامته على الجادة .. وليس معنى ذلك ان شعري اصبح شبيها بشعره .. ولكن معناه انني جلست منه كما يجلس الطالب الى استاذ عظيم ..

وافادت اللزوميات .. انني حاولت ــ تحت الاغراء ــ محاولة بادئة ، لنظم بعض المقطعات على طريقته ، والتزام الاحرف العديدة في اواخرها .. وهي لعبة رياضية مغرية .. اظن انها مكنتني من صب بعض المعاني في قوالبها .. وقد ضاع اكثر هذه المحاولات ، ولم يبق منها الا ما علق بالذهن .. فمنه مثلا ، في التزام اللام والزاي والميم المضمومة :

لما وردت الشعر حتى انه — نضب الفرات له ، وجف القلزم
عالجته كابي العلاء مقطعا — ولزمت في الابيات ما لا يلزم

ومنها ، في التزام الهمزة المفتوحة ، بعدها الف الاسناد ، تتبعهما الدال المفتوحة ، تليها الف الاطلاق .. :

اعين الناس أسهم صائبات — فاحذر السهم ان يصيب الفؤادا
لا تظن الدنيا تنيلك خيرا — انها تحمل الاذى والنآدا
فاذا ما طلبت فاطلب برفق — واذا ما خطوت فاخط اتئادا
احرز النابه النجوم ، فلما — ادركته العيون .. ذل ، فآدا

النآد ــ الداهية ، آده اي بلغ منه المجهود ومنه (ولا يؤوده حفظهما) .. وآد بمعنى مال ..

وفي الابيات شيء من الحزن ، يدل على الجو المقبض الذي كنت اعيشه وقتئذ .. فما علينا !

اما الجو المبهج ، فكان بعد ذلك عندما حاولت تقليد ابي العلاء في « رسالة الغفران » ..

كتبت فصولا بعنوان (غصن الزيتون) .. اصف فيها حياتي بعد الموت ، وكيف مررت بالجحيم ، ثم في الطريق الى الجنة .. ومن قابلتهم من الشخصيات المعاصرة ..

ولم تتم تلك الفصول يومئذ ، لتتحقق فكرة الكتاب .. ولم اعرض شيئا منها للنشر ، خوفا من الا تتقبلها بعض الصحف .. لما فيها من تقليد الفكرة الاصيلة من جهة ، ولما تحتويه من مساس بالاشخاص ، او الاحداث الجارية ، او بعض الاعتبارات الاخرى ..

وقد قرات اليوم بعض هذه الفصول .. فضحكت كثيرا ..

ولا بأس من ان اشرك القارىء معي في الضحك .. من عناوين تلك المجموعة ما يلي :

كيف انتقلت الى الآخرة ؟ ــ كيف بعثت حيا ؟ ــ كيف عثرت على المصريين في الحشر ؟ ــ دقيقة قبل دخول الجنة ... ــ كيف دخلت الجحيم ؟ ــ شاطىء الاعراف .. ــ ثم بعض الشعراء كالعقاد ، والهمشري ، وصالح جودت !!

وهذه نماذج متتابعة من تلك الفصول .. من كتاب « غصن الزيتون » :

. . . .

في صباح اليوم الثاني من سبتمبر عام ١٩٧٥ .. نزلت الى الحديقة مبكرا .. كان الخريف رطبا ، لوفرة

امطاره ، وغزارة سيوله .. وكنا لا نزال نسمع بفاجعة تتبعها فاجعة .. عن صبي جرفه السيل ، او عامل ابتلعته الارض ، او سيدة سقط عليها الجدار ..

وكان اهل البيت يتناقلون اخبار هذه الفواجع في خشية .. اما الصغار فكانوا يجتمعون في مجلس كهيئة الفلاسفة ، يتحدثون فيما وراء الموت ، بمنطق عجيب .. واما انا ، فقد اقعدتني الشيخوخة الباكرة .. فكنت اتلقى الانباء بيقين واطمئنان ، وكنت اقدر السعادة للموتى ، واتمناها لهم .. ولطالما فكرت في رحلة الآخرة ، وفي مستقر الاجساد والارواح ، وفي الخلود والفناء ، والجنة والجحيم ..

.. ثم عدت وانا منقبض الصدر ، فتمددت على كرسي طويل من القماش ، تحت شجرة الفكوز الباسقة ، في صف شجر الفكوز ، المقابل لاشجار الليمون ، والجميز ، والجوافة ، والنارنج ..

ومنذ جلست ذلك المجلس اخذتني غيبوبة ، لم اعلم عن نفسي بعدها شيئا .. وكل ما انا واثق منه ، انني مت في الساعة التاسعة مساء ذلك اليوم ، ودفنت في المقابر الجديدة بظاهر مدينة الخرطوم .. في صبيحة اليوم التالي ...

(اعطيت نفسي من العمر ثلاثا وستين سنة ميلادية .. وجعلت موتي في نفس المدينة التي كان بها مولدي ...) ..

وبين اللحظة التي صعدت فيها الروح الى بارئها ، واللحظة التي وسدت فيها الرمل المطر بالحناء .. فترة كانت اذني لا تزال تسمع فيها لغط البكاء ، يصحبه كلام في التنازع حول الميراث ..

كما انه بين اللحظة التي فرغ فيها الملكان من سؤالي ، واللحظة الرهيبة التي بعثت فيها من القبر وهي فترة اكاد اقدرها باربعة آلاف من السنين ــ كانت تهيم روحي على شاطىء نهر جميل ، في ضاحية من ضواحي الجنة الجنوبية ...

ــ كان السبب الاكبر في ثرائي ، هو الشهرة الواسعة التي ادركتها كشاعر ومؤلف !! فلقد طبعت تسعة اجزاء من ديواني ، وثلاثين مسرحية ، مثلت على مسارح القاهرة ودمشق وبغداد والخرطوم (ولعلي اضيف اليوم بيروت !!) ... وترجمت الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ومثلت في لندن وباريس ... كما اصدرت احدى وعشرين قصة بين منظوم ومنثور !..

وبالرغم من انني رضيت منذ الصبى حرفة الادب والشعر ، بابا اخدم منه أمتي ، ومنبرا استحث منه عشيرتي على الفضل ومكارم الاخلاق .. الا انني كنت في مراحل حياتي قد تضلعت في دراسة القانون والاقتصاد والاجتماع .. حتى دعيت وانا في الخمسين الى تولي « وزارة الاخلاق العامة » ... التي انشئت لاول مرة ، بعد عودتي لانشائها ، ومناداتي بالحاجة الماسة اليها ، يوم كنت اكتب عنها المقالات الضافية ، بجريدة « الوقت » المصرية عامي ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ...

(قلت بعد ذلك ان محاولة وزارة الاخلاق .. قد فشلت !!) .

ولقد سألني الملكان اثر الدفن اسئلة خفيفة ، هينة ... اجبت عليها بهدوء ، واطمئنان .. فانشرح صدراهما ، ثم غادراني بعد ان سلما علي مودعين ..

ــ انقضى على بعثي من القبر وقت يبلغ الثلاثين سنة ، في حساب اهل الارض .. وانا هائم على وجهي ، ابحث عن احد اعرفه ، فلا اجد ..

كنت في غالب الامر ، أسير بين قبائل من الهنود الحمر ، ثم من الصين واليابان.. وقد عرفتهم بسيماهم ، وجوههم صفراء ، وعيونهم منحرفة ، واقدامهم صغيرة.

ولما طال بي السير ، وانا لا اجد احدا اعرفه .. رايت مظاهرة قادمة ، في صدرها لواء مرفوع .. وقد جراني على التقدم نحوها ، هتاف لافرادها ، كان لي به عهد من قبل .. ولما كان الهتاف راتبا ، يلقى متواليا ، على نغمة واحدة مكررة .. فقد عرفت في الحال انني وجدت المصريين !

ــ بدأت الشمس تشتد حرارتها ، والاجسام تتصبب عرقا ، وبدأ المنتظرون للحساب يستجيرون ، طالبين الخلاص ، ولو الى النار .. فكانوا كمن قال :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار !

ولقد القذني من هذا الموقف احد الملائكة .. اذ دفع الي رقعة مطوية ، فنشرتها فاذا هي صحيفة اعمالي ..

واستوقفتني في اعلى الرقعة جملة شغلتني طويلا .. ولم افهم المقصود منها على وجه التحقيق .. وهي عبارة تقول « دقيقة قبل دخول الجنة » ..

انتحيت بالصحيفة جانبا ، أراجعها ، لعلي اجد شيئا نسيه الكرام الكاتبون ، او احضر شيئا ادافع به عن نفسي .. وكم كانت دهشتي عندما قدم علي في هذه اللحظة ملك غاضب ، فاخذ الصحيفة ، ثم زاد في جانب السيئات ذلك الخاطر الذي سولت لي نفسي من الغش في الصحيفة .. قائلا :

هكذا كانت تدون اعمالكم في الدنيا لساعتها ..

قلت مجيبا : قد علمت ان الله بصير بالعباد !

وحكم علي في النهاية بدخول الجنة .. على ان امر قبل ذلك بالجحيم ، دقيقة واحدة .. عقابا على ما سولت لي نفسي ، من امر الغش في الصحيفة ..

وكان الملك الذي ساقني ذكيا ، فادرك ما في نفسي من السرور .. فقال : لا تسرع بالفرح ، فانك لن تقضي دقيقة واحدة في النار كما توهمت .. فاليوم في الآخرة مقداره خمسون الف سنة .. فاذا أنقسم اليوم الى

حب الوطن

هاج بي الحنين الى الوطن | ففرقت في بحر الشجن
وذكرت أيام الصبا | فنفضت عن روحي الكفن
ما زارني طيف ولا | أغراه في جفني وسن
كم في المغاني الزهر | طفت ، وكم لها عندي منن
من ربوة غناء حانية | على سهل أغن
وصداح طير أغرد | فقد الاليف فما سكن
ما انفك يهتف في الصـ | ـباح وفي المساء على فنن
لكن قلبي ما اشتفى | منها ولا طرفي افتتن
لا دار أغلى في الوجود | ولا أحب من الوطن

اسلام آباد ــ باكستان | يعقوب عبد العزيز الرشيد

اربع وعشرين ساعة ، والساعة الى ستين دقيقة .. كان مقدار ما سوف تقضيه في النار .. اربعا وثلاثين سنة ، وعشرة ايام !

ــ ولما فرغت من جولتي في الجحيم ، تهيأت للخروج ، وكان علي أن امر قبل دخول الجنة ، ببحر عظيم ، يعرف شاطئه بشاطىء الاعراف ..

ووجدت بهذا الشاطىء جماعة كبيرة من المصريين المعاصرين ، تربو في عددها على مجموع من دخل منهم الجنة والنار معا ..

وفي هذا الشاطىء وجدت الشعراء .. واكثرهم المجددون .. اما من اوغلوا في تقليد الجاهليين ، فأولئك حشروا مع عرب الجاهلية ، فلم اعثر عليهم بين المصريين .. واما الذين لم يأتوا بشعر رائع في ذاته ، فقد حشروا مع رجال الصحافة ، وكتبة الدواوين ..

ــ ورايت العقاد بشاطىء الاعراف .. يتهيأ لدخول الجنة .. وكنت قد مررت به في الجحيم ، وقد اقام له الشباب حفلا ، ينصبونه فيه اميرا للشعراء .. وهو يعتلي منصة حمراء ، يلقي قصيدة سمعت منها قوله :

هذا الجحيم احب لي من عالم ما كان لي الا رجاء خابا
الشر ثمة كان شرا كاسمه والخير كان كما علمت سرابا

ــ كما كنت قد قابلت في الجحيم ايضا ، صالح جودت .. فقلت له :

اي قولك كان اعظم اثرا في دخولك النار ؟

فأجاب : هو قولي في قصيدة (الراهب المتمرد) :

انـا . . . . قد كنى الكاهن عنه بالخلود ..

ولكن لي أملا في الجنة ، لاني قلت بعد ذلك في نفس القصيدة ، معترفا بالعجز والقصور :

لم يهبني الله تفكيرا ، بـه اعرف الله .. تمام المعرفه

وهانذا اراه بشاطىء الاعراف ، يرجو تحقيق الامل ..

ــ وسلكت من شاطىء الاعراف طريقا موحشا ، حتى بلغت مكانا قصيا .. وهنالك رأيت شابا عريض المنكبين ، وجهه كالقمر الشاحب ، يضع على صدره وردة حمراء .. قلت للهمشري :

ماذا اتى بك في هذا المكان الموحش ؟

قال : اتى بي قولي :

لست ابغي ان ارى الجنة في نفخة الصور ، ولكن ان اراك !

قلت : انك بشاطىء الاعراف .. فاين منه قولك :

هو مقوي الالحان بعد شتات ومقر الارواح بعد طواف ..؟

قال : قريبا تسمع الحان الاسى والاماني ! فسألته عن قبر الليالي .. فقال انه يقع وراء جنة الشعراء ، الى الجنوب قليلا ..

ثم نظرت الى زوارق ركب الحياة ، مقبلة من جوف البحر نحو قبر الليالي .. وهو قبو مظلم في اقصى الماء .. فما ارى الا كان لي جناحين رقيقين من نور ، حملاني الى « زورق الجمال » .. الذي يقدم تلك الزوارق .. وما اقتربنا الى القبر ، حتى سمعنا لحنا موسيقيا ، يتردد في ظلمة المكان الموحش ، في الهيكل الخرب ، المنسابة اليه مياه بحر الوقت ... !! ..

. . . .

ذلك هو ابو العلاء الشاعر الساحر ، واثره على الشاب المبتدىء .. نظما ، ونثرا .. في سقط الزند ، واللزوميات ، ورسالة الغفران ..

فالى حديث تال .

مصر الجديدة | عامر محمد بحيري

اصـــــــداء

بقلم اديـل الخشن

●

اكتب بـلا قلب ،
حروفي لهاث نخلـه
يجرح خـد الريح .
شفتاي تضيفان في اكواب فارغة
والنسيم غارق في الرماد !
صباحي ملثـم
وتلك الشجرة الخضراء ،
المتشابكة في دارنا
طوت اغصانها ،
تكومت كالثكلى ،
تقضم ببطء غناء العصافير !

بعيـد انـت !
وانا وحيدة مع الليالي الحزينة ،
والحجـر المسفوح ...
عن شرفتنا تغيب النجوم ،
والظلام ينهمر كالطوفان فوق تلالنا .
وهذا البحر المنبسط أمامي
المتهدم في اعماقه ،
يحملني اليـك
والليل الصامت يسكبني فيك ...
ظلك يملأ غرفتي ،
يتداح على جدارنا
صوتك يدغدغ صمتها ،
ينساب كالنسمة الحانية في عبابها .
وتبقى اصابعك بعيدة عن اصابعي !
أصابعك تشعل الحرائق ،
تندفع كالريح ، ...
تعبـر المسافات !

ليلـة شتائية ،
انـا وحيدة ،
والظلام ينسكب حولي احلاما .
ما أحلى ان تطل عيناك !
حروفي كلها ، كلماتي كلها
تسقط في الزمن
وتعبر فوق الغمام !
وقلبي يتفتح كالقبلة ...
تطوي عيناي اجنحتها ،
وتغلقهمـا ،
كنحلتين ، اثقلهما الرحيق !...

وتمطـر السمـاء ...
تشهق النوافذ ،
وتسح الدموع ...
فيتعرج كالغمام جبيني المتعب ،
ليتني أغلق بابي ،
واحبابي في الداخل !
نعمة الدفء لا اعرفها وانت بعيد !
كيف اعبر هذا الشتاء الباكي
وصيفي يرتعش في غيابك !
وابحث عن صدرك ،
اسند خدي اليـه .
فتنهمر على وسادتي
نداءات مبحوحة ...
واغنيـات عتـاب ...

ساهرة انـا حتى الصباح ،
استقبل الفجر دون احلام
عصافير الحب .
تتلاصق مناقيرها
وحبات الندى ،
تقبل ثغور الزنابق .
هذا الحنين الفجري !!
هذا الولـه المشتعل
كجراحـات المغيب ...
ينسيني الشتاء ونواح الامواج
يرفعني فوق الجبال المكسوة بالثلج ،
يقربني مـن الشمس
يزرعني في لهيب الصيف !!

الشويفات ــ لبنان — اديل الخشن

قصيدة للبحر

★

هل ينطق البحر شعرا او يحاوله   فما يقول لنا بحر اذا نطقا
يقول : اني ملح الارض واهبها   على شواطئي الايمان والقلقا
سويتها بي فاختاروا بسيطتها   فكان قربي لهم زادا ومنطلقا
وسعت أقوامها ان ضاق واسعها   او شح موردها لم ادخر رمقا
وقد تحملتهم بالفلك ان ركبوا   ظهري تصاغرت حتى يبلغوا الأفقا
الموج شوقي • فماذا في تطلعه   الى السماء اذا ما خافق خفقا
سر اذا بت فيه الليل ارقني   فهل فشا ؟ او سمعتم منه مختلقا
أشكو وأصرخ في سجن يساورني   مدا وجزرا • وأحيا فيه مختنقا
اني حبيس هنا • اني لمنتظر   أن أصعد القمم الشماء مستبقا
وما اللآلىء في جوفي سوى أمل   طويته • فاغنموا منه اذا ائتلقا
تحركت بي حيتان فقلت لها :   عودي الى القاع حلما فيه قد غرقا
حتام أضرب هذا الشط محتدما   وتارة ألثم الانسام والشفقا
بنيت عالمي الجبار منفردا   حتى اذا تم ثار الفكر وانعتقا
ألست أكبر شيء ؟ غير ان يدي   مغلولة • وفؤادي غاص منسحقا

تلك الذرى قد أطلت ، وهي شاهقة   مالي أكابد منها الغيظ والحنقا
يا قمة وقفت حيرى على كتف   من الشموخ تشع الوحي والألقا
ألست مثلك في سر الجلال اذا   علا أو امتد ، مزهوا ومتسقا
ماذا وقوفك يا أخت الجبال ، وقد   مرت دهور تسوق الضوء والغسقا
هل هزت الريح عطفا منك او أملا   أو زحزح المجد رأيا منك أو خلقا
يا معقلا قابعا في الجو منتزعا   من الوجود ، عليل النفس ، منغلقا
اني لأرحب صدرا ، والندى خلقي   وهل يعيش لغير الخير من خلقا

سما الغرور باكوام ملفقة   من الحجارة ، لا تدري لها طرقا
وسالت الروح ماء ، حين فجرها   نبع الحقيقة فياضا ، ومندفقا
أنا الخلود • أنا المعنى الذي نشأت   منه الطبيعة في الانواع مفترقا
بالماء والملح صار الناس مجتمعا   وبالتعمق لاذ العقل ان صدقا

طرابلس – لبنان   سليم الرافعي

قلب الرسالة بين يديه ، واعاد قراءتها مرات ، فأثارت في نفسه قلقا معتما وكل كوامن اليأس والشعور بالهزيمة . رسالة من مكان ما في المدينة الى ذات المدينة .. وهي رسالة مقتضبة كتلك الاحكام الظالمة والموجزة الصيغة لتي يتلوها مندوب الحاكم في ساحة المدينة بصوت يتصنع القوة ، فيسود الصمت كل المدينة ، صمت الخوف والقلق والشفقة !

طبول الحاكم الارعن تصفق ساحات المدينةوتعريها من الشمس، والجلاد الفولاذي ينتصب وسط المنصة .. وهو يسير الآن خطواته الاخيرة ، وقبل ان تعصب عيناه يسمع همسا يتردد : مسكين !

الآن .. وقد مضت سنتان على افتراقهما فكل ما حوله لا يزال يذكره بها . بذل المستحيل كي يخفي رسائلها وهداياها وصورتيها في صندوق قديم بعيد عن متناول يديه ككنز يخاف عليه حتى من لمس يديه . وبين حين وآخر يجد نفسه، ودون تصميم مسبق يحتضن الرسائل صباحا ، مساء ، ظهرا .. لا يهم ، فهو يجد لذة عارمة في كي جسده وقلبه بالقضيب المحمى ، بل يجد نفسه منتشيا ، ثم يروح في غيبوبة لزجة مرة ، تنتهي بشحوب وحزن ويأس يضعه فوق سرير من الشوك ، يحس بكل وخزاته ، ويسمع صوت تدفق دمه !

« انت الآن رجل على حافة الثلاثين عاما ، وهي قد تزوجت وحملت ، وولدت .. ولا يمكن ان تحمل وتلد دون ان تكون قد نسيتك . انت لم ترها منذ سنتين غير مرة واحدة ، اشاحت وجهها عنك ، وتجاهلتك وانتما وجها لوجه ! اي دليل اكبر من هذا الدليل ؟! ان قضيتك ميتة ، فلم هذا الجري ؟! هي لا تحتفظ حتى بقصاصة سطر واحد من مجموع رسائلك التي كنت تسهر وتسهر لتحسن كتاباتها . لديها الآن رجل كامل بدل الكلمات ومغارة الاحلام ذات الجدران المرجانية التي كنت تعدها بها !

لم تعد تقرأ لك شيئا من قصصك ، تلك الاوهام التي دابت على متابعة رسمها على الورق . انها لا تملك وقتا صغيرا تهدره في معاشرة ما تكتبه من خيالات فلديها طفل ابتسامته اغلى من الف كتاب !

كل الناس يعرفونك رجلا هادئا ومتزنا ، ويجب ان يبقى لك وجه واحد .. هو الوجه الجاد الرزين . اما وجهك الآخر فهو لرجل سقط على الارض مقطوع الراس معصوب العينين !

عمرك يتدفق ، ويسرع ، وغدا



بقلم جهاد الكاتب

يلهث ، ثم يخفت ويخبو ليصمت في النهاية . وهي مع زوجها تنام وتلد ، وتتعلق بيديها به وتتبعه اينما سار .

الرسائل كلمات طائشة ، وعليك الآن ان تصدر حكما قاطعا عليها .. عليك ان تعقد محكمة في ذاتك وتقرر اعدامها . فهي ليست اكثر من اوراق ، وان كانت لا تزال تحمل بقايا عطر ما !

كغراب جائع تتجول في المدينة ، تقيم مآتم الماضي ، وتندب حظك ،



وتلعن السنتين الخاويتين . انك تطوف مع ذكرياتك في اماكن لم تتغير . كانت معك دوما ، وهي الآن مع غيرك .. يجب ان تسلم بهذه الحقيقة ، فانكارها لا يغير وجودها . انك لو اعدت الكرة الف مرة فان ما حدث سيحدث مرة اخرى ، ولن تستطيع تلافي النهاية ... »

★

اصبحت لعبته مكشوفة امام الاصدقاء .. فكلهم يعرفون انه لا زال يحبها فيعنفه بعضهم ، ويشفق عليه ويهزأ به آخرون ويغلظون له القول فيرتاح لفراقهم والابتعاد عنهم ويخلد الى نفسه متهورا ليسقط في بحر ذكرياته وهي كل ما لديه . ولكنه سرعان ما يعود الى اصدقائه كفريق ينشد النجاة على ايديهم . وهو بين هذا المد والجزر لا يشعر بطعم غير طعم الالم !

منذ يومين وصلته رسالة طال انتظاره لها .. ومكث سنتين يأمل ويحلم ويتوهم . وها هي ذي لرسالة تقطع عليه الوهم اللذيذ وتغير الالوان ليصبح كل ما يراه قاتما يتدفق يأسا ..

ولم تكن الرسالة صدمة افقدته وعيه كاملا ، ولكنها على الاقل مفاجأة لم يتوقعها اما لاغراقه الزائد في التوهم او لاشياء عميقة بينهما تقرب حد الاسرار جعلته يعتقد انها لن تتخلى عنه مهما حدث .. وهذا ما كانت تردده وتقسم على المحافظة على ما بينهما ! لقد توقع ، بل انتظر ان تكتب اليه شيئا ما ، ولم يكن بادئا ليريد ان يخمن نوع هذا الشيء ..

« .. هل كنت تنتظر ان تكتب اليك بعد عامين تريد لقاءك وتتعجله .. وتطرح حبها عليك .. جميل ان تعيش على الوهم ، والمؤلم حقا ان تبعثر الحقيقة وهمك ، وانت لا تريد ان تعترف ... »

طوال العامين السابقين ظل يردد في نفسه : الينبوع الذي يتدفق من بين الصخور يكون رائعا ..

« .. وما علاقة النبع بالرسالة .. فالشجرة جفت ، وانت الورقة الوحيدة التي تتعلق بغصنها . لم تعد الامطار تسقط ، وما نفعها ان سقطت اياما متواليات .. وها هو الربيع قد مضى وانت ورقة صفراء تتعلق بغصن يابس ... »

قرر ان يصدر حكمه ، فليس من ذلك بد . تردد اولا ، وخانته شجاعته التي يفخر بها ، وها هو يجد لنفسه الاعذار . فهو يعتقد ان الهزيمة قاسية على الابطال وحدهم.

« .. ايها المسكين ، اي هزيمة، واي ابطال تعني ؟! كل ما في الامر ان ما اردته لك كان لغيرك ، وبيدك الآن ان تريد من جديد .. وفي كل لحظة يمكنك ان تريد ، ولكن عليك الا تنتظر ان يكون ما تريد .

عمرك يتدفق ، ويسرع وانت تفعل كاولئك الفرسان المحبين ، تحمل سيفك وتلبس دروعك لتنازل خصمت . كأنك تنتظر ان يهتف المتفرجون دوما وهم يرفعونك على الاكتاف : ليعش الفارس . والاميرة لن تقف في مقصورتها لترمي اليك باقة ورد احمر .. تذكر انك امضيت اكثر من نصف عمرك تلهث في الوهم .

كلما سقط الظلام تكون بين يدي غيرك زجاجة عطر يسكبها على جسمه وانت وحدك تحتضن اوراقا ميتة فيها بقايا رائحة عطر ما !.. »

انه يشعر دوما ان الحقيقة لا تكفيه وحدها ليعيش سعيدا ، فهو يريد اسطورة يدور في جنباتها، ويريد خيالا يغرق فيه ، ويحب ان يمتطي ظهر النجوم في رحلات أبدية مستمتعا بعالمه السحيق .

وها هي تطلب في رسالتها ان يوقف دورانه وينزل من عاله ، تريد منه ان يحرق عالمه .. الصورتان والرسائل والهدايا .

لم تحدثه بلهجة استعطاف ، ولم ترجه رجاء ، ولم تتوسل اليه ، هي تطلب منه ، تقول له: «لقد اصبحت اما لطفل اسميته باسمك ، واريد منك ان تتلف ما لديك من صوري ورسائلي .. » لماذا تقول له هذا ؟! لماذا تزرع الما في صدره ثم تقول له : « اتمنى لك حياة سعيدة .. »!

لقد وضعته الرسالة الموجزة في ارجوحة يسمع صوت تمزق حبالها، وكان لا بد له من ان يخرج كل شيء من الصندوق القديم . وهي ثلاث عشرة رسالة ذات ورق بلون وردي ، وصورتان بحجم صغير ، ومحفظة جلدية تضم ادوات حلاقة، وربطة عنق ، وزجاجة عطر ، قدمت اليه في اعياد ميلاده الثلاثة التي مرت وهما معا .

هذه الاوهام المرئية ، وهذه الاذيال الحلوة هي كل ما لديه .

وعليه ان يصدر حكمه النهائي عليها، انه لا يعترف بضعفه في اتخاذ قرار ، ولكنه لا يدعي القوة في ذات الوقت .

شد عضلاته ، ونظر في المرآة يرقب نفسه ويتحسس باصابعه الذقن الخشنة ، والحاجبين الكثيفين ، والشعر القاتم ، وتوقف مذعورا امام شعرة بيضاء طويلة . وتمنى لو كانت له قوة شمشون ، طويل شعره ، خيالية قوته ، يهدم المعبد على نفسه وبيديه .

بعيدا عن ضجة المدينة ، وجد نفسه وحيدا يقيم المآتم . بجلال وخشوع وحزن دافق قرر ان يصنع . ها هو اخيرا يمتثل لرغبتها ويحقق مطلبها ، من اجلها ، ام من اجل الطفل الذي يحمل اسمه ، ام من اجله هو .

عندما بدأ الدخان يصعد ويتبعه لهب اصفر مشوب باحمرار .. ارتفعت الى صدره سحابة كئيبة اشتم فيها رائحة الموت .. رائحة النهاية .

الاوراق في المحرق تتألم فتنكمش ، وتلوذ ببعضها ثم تسود . مد يده الى النار ، اقتحمها ، واختطف احدى الصورتين ، واطفأ طرفها بأصابعه . القى نظرة جديدة عليها فوجد فيها نفس العينين الواسعتين ، والجديلة ، والجبين الذهبي ، والابتسامة البريئة .. ثم غيب الصورة في محفظته وهو يشعر بانه امتلك كل العالم !

حلب — **جهاد الكاتب**

جنون هواك

كذبت كذبت ، فلن اكرهك ... لان شموخك قد ولهك
لانك عمري ، فمتع به ... جنون هواك ، وما أشرهك
كذبت لانك من خاطري ... عبثت ، وصدري ما سفهك
كذبت لانك ملء صباي ... وان جفاءك ما شوهك
فحطم وحطم ، ولا ترث لي ... هواك بقلبي ، فما ينتهك
ظلمتك ، اني ظلمت الوداد ... خسئت لانني لن أشبهك
حذار حذار الرجوع الي ... لئلا أردد : ما اتفهك

فوزي عطوي

رحلة في الغيب الاسير

.. وأنا أقتل ظني
ويهيم الحزن في عيني
اطيافا وميلادا وموتا !
ورياح الليل تجتث وجودي
وأنـا في ثورة الليل أغني
اسأل الحرف عن المعنى الذي تاه
وعن مركب حزني !
وشراعي .. ودموعي والتياعي !
وأنـا اقتل ظني
يولد الحزن نديا !

أتقصى في كتاب الدهر
لفظا لـم يدون
ومكانا لـم يعنون
وبلادا لم تطأها
بعد اقدام الغزاه !
لم تزل تزخر بالحب
وألحـان الحيـاه !

وأنا ارحل في نفسي سنينا
وأنا ازرع في قلبي عيونا
وأنـا املأ كفي
من حصاد الرحلة الموهوم
وهما وظنونـا !
عالم كالعالم المرئي لكن
تتعرى فيه ابكار المعاني
من شرانيق الحروف !

عندما يهبط ليل الليل
ترتـد العيون
نغمض الاجفان .. نمشي
يولد اليوم الذي مر
ويوم في الضمير
يولد الكون وراء الجفن
والضوء الاسيـر !

الذي يولد اعمى
يكشف اللفظ المعمى
ويرى ما لا يرى ذو العين
في الغيب الاسير
ويعيش العالم العلوي حيا !

الظنـون
وهج يحرق في اعصاره
روح المعانـي
والاماني
مشعل التائه في ليل الزمان !

أنا لم اعرف لوجهي
غير وجه واحد
كان هذا عندما كنت صغيرا
عندما ابصرت وجهي
ذات يوم .. في غدير
لم اصدق ان ذاك الوجه وجهي
فحملت الماء في كفي واطلقت النذير !
الف وجه للذي ينظر
في ماء غدير !!

عمان ــ الاردن
مامون جرار



وحيد الدين بهاء الدين

شكر الله الجر شاعر التأملات والتطلعات

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

هذا شاعر مهجري من نمط فريد ، اقف قبالته على نحو لم يسبق لي مع شاعر آخر ، وقفة جديدة .

واجد انا في اشعاره وافكاره التي تنبسط عبرها صفحة ذاته ومذهبه ، كذلك واجد في طرائق تعبيره وتصويره التي ترسم للقارىء خطوط لواعجه وعواطفه ، نكهة غير معهودة ، ومذاقا خاصا .

ان لشكرالله الجر في شعــره ، جانبين ظاهرين لعيان الباحث والناقد ، يتقابلان علــى مستوى واحد وممتاز ، ويغطيان على غير ما هنالك ، فـي حين بينهما بعد فني جدير بالاهتمام .

جانب يمكن الاطلالة منه على عالـم مستقل تتعالى من رحابه صرخات جنسية حـادة ، وعميقـة . حيث الوصف الجنسي المثير ، والاعراب المكشوف عن الرغبات الجامحة في اطار من الشعر الرومانسي الواقعي ، ممـا ارى ان لهذا الاتجاه من الدلالات والجذور مـا يحملني على الاغضاء عن التعريج عليه والبحث فيه .

اما الجانب الذي يقابله في جلالته واصالته .. في شموله وحرارته ... في اصدائه وومضاته ، هو جانب التأملات ..

ترى اين الصرخات الجنسية المترددة المضمحلة في زحمة الحياة الصخابة من التأملات الوجدانية والانسانية المنتهية الى قرار الطمأنينة والغبطة ؟!

اجتهادي يقضي ان جانب التأمـلات يكـاد يغلب الآخر ، ويبزه تأثيرا في مسارب العقول والافئدة ، وان كان دونه تأثرا بعوامل الزمان والمكان .

لاتجاوز هذا كلـه ، فازعم ان الغلــو في وصف الجنس وتصويره بظلاله والوانه الكثيفـة ، وبمعانيـه المباشرة والمضمرة هو النتيجة الاكيدة لرد فعل شديد لما يعانيه الشاعر من ازمة روحية قاصمـة ، ومأساة فكرية مضنية ، في طبائع الخلائق والغاز الكون وغرائب الزمن وجواذب الحياة الفانية عند الموت .

والموت وان كان سرا مكنونا ، طالمـا اعمى البصر والبصيرة ، فانه النهاية المنتظـرة للكائنات الحيـة ، والبداية الى اللانهاية .

لا يضير اللـه ان نعبـده حيث نشاء
هيكل اللـه جبال ، وبحـار وسمـاء
وعلام القول : « ان الله قد حجب عنا » ؟
هو في الليل وفي الفجر اذا فتحت جفنا
هو في البرق وفي الرعد اذا ارهفت اذنا
هو في الاكوان مـذ كانت وفينا منـذ كنا

ويقول في قصيدة « قشور ولباب » :

اترى الاشجار تـدري انهـا كانت بذورا ؟
ام تـرى الاثمار تدري انهـا كانت زهـورا ؟
ليس عنـد الارض علم انهـا كانت ضبـاب
لا ولا الابريـز يـدري انـه كـان تـراب
كل مـا خلناه قشرا صار في الارض لباب
اتـرى الارواح تمشي جوهـرا خلـف التـراب
ان امـر البعـث سر كائـن خلـف الوجـود
ووجـود المـرء غصن جذعـه تحـت اللحـود

من هنا يجوز لي ان اعد شكرالله الجـر شاعـر التأملات والتطلعات ...

معناه : انه متفلسف ، وليس فيلسوفا !!

فالفيلسوف بالمعنى الصحيح يضيف شيئا جديـدا الى ما هو موجود ، ليرفد الحقائق الثابتـة والنظريات القائمة والمدركات الحسية ، ويكسبها ابعـادا فلسفية ذات جدوى للانسانية ..

ونزعة التأمل لدى الفلاسفة والمفكريـن والشعراء والادباء ظاهرة مميزة لهم ، ملازمة كالظل لواقعهم فـي رحلة الوجود والحياة ..

انهم يرتقون به الـى معارج الحقيقة والحقيقـة وحدها . ومن ردوده يخلقـون مكوناتهم ومشخصاتهم . ويستمدون منه حوافز لاستشراف الاسرار والعوالـم المجهولة. ويتوصلون به الى نتائج من مفاهيم وقيم. ممكنات ومستحيلات .. وسلبيات وايجابيات. وبالتالي يرهصون به بعقائدهم التي لا يقلبون لها ظهـر المجن فـي معظم الاحوال .

وان هو ــ اعني التأمـل ــ يترامـى بهؤلاء تفكيرا وتحسسا الـى حدود وآفـاق لا تستقر عنـد نقطـة ، ويضنيهم تغلغلا في كل درب ويلزمهم معاناة في البحث والمقارنة ، وتشبثا بأية ذريعة للتوصل الى المراد .

سيظل سرا ما تجلى مـن وجودك واستتر
وتظل اغراض الانام رهينة بيـد القـدر
صور تكر على الوجود وبعدها تاتـي صور
ان الحياة وفـي تجددها الغرائب والغير
ستظل للارواح لغـزا لا يفسـره البشر
سر من الاسرار حارت في حقيقته الفكـر

حتى اذا بدا فتاكد قصور العقل والفكر عندهم عن

ادراك المبتغى ، وغشتهما عماية الذهول والعجز ، استسلموا للحيرة فالشك .. !!

والشك اما يفضي بهم الى قرارة مكينة من التجلي والايمان ، واما يودي بهم في وهدات سحيقة من التمزق والتحلل .

ومهما يكن من شيء فان العقل قاصر ولو ادى اخطر الادوار في حياة البشرية ..

كذاك العلم بالرغم من تقدمه ، وتحقيقه تلك الانجازات الضخمة الرائعة في دنيا الحضارة المعاصرة .

اين للعلم اين للقمر الطيار   هتك الستار عن مكنون
عبثا توقد العلوم المصا   بيح اهتداء منها لسر مصون
انما العلم لا يزال كعصفور   صغير مرفرف في الغصون

واذا بكل ما انتهى اليه الفكر والتفكير ينتهي الى العجز الكلي .. الى اليأس :

ليس الاك يا مكون هذا   الكون يدري معميات الكون

وما يتهيأ بالتسامي الروحي .. بالاستبطان الذاتي .. لا يتهيأ وهيهات أن يتهيأ بالعقل واحكامه ..؟

وما يصح تبريره وتعليله بايحاءات النفس ، لا يصح ولا يمكن ان يصح بالعقل ..؟ ولو كان قيام بعضهما ببعض مجديا .. مرضيا غير مرفوض .

يقول الشاعر المفكر احمد الصافي النجفي :

قيل لي هل عرفته بدليل   او بحس او شهدته او عيان
قلت : كلا ايمان قلبي اقوى   من دعاوي الحواس والبرهان
واضح لي وضوح روحي وعقلي   ماثل في مداركي كيان
هو رمز الوجود سر التجلي   هو روح الاكوان معنى المعاني

احسبني ما وجدت شاعرا مغرما .. متغنيا بالليل كشكرالله الجر ..

يتأمل هيبته وغموضه .. يطيل التحديق في نجومه وطيافه . يودع ضميره احلامه وذكرياته .. يستفرغ في جوفه حسراته وهمومه بعد احتسائه شراب الراحة من عرائس جماله ومهابة سكونه .

انني يا ليل – ليل ازلي اللاحدود
انني بحر شواطيه بروق ورعود
انني صبح له من مغزل الشمس برود
انني دهر مجاليه نحوس وسعود
انني جزء من الكون وبيت من قصيد
مستمدا من جراحاتي لاوتاري نشيد

الا ان عشقه لليل يبلغ احيانا غاية الاستغراق المجنح الذي لا يرتقي الى تصويره ، شيء :

هو الليل ارجوحة العاشقين تغلغل في عبه الهادىء
هو الليل مستودع الذكريات وكل هوى جامح ناشىء
هو الليل قيثارة المنشدين ومهد المنى اللين الهانىء
فلم لا نجن على صدره   ونهزأ بالزمن الهازىء

وعبر تأملاته وتطلعاته تجده يجوب الآفاق سراعا ، مختصرا العصور والمسافات ثم لا تعتم ان تراه صاعدا الى العلياء ، وما زال حتى يباغتك بالهبوط الى الاغوار وهو يفلسف الوجود والطبيعة ، محاولا ان يضبط النواميس والانظمة ويهتك ستائر الحياة وما بعدها والموت وما يستتبعه والمجهول وما يطويه ، ليتخذ من ذلك موقفا يرضي طموحه ويشبع نهمه الروحي :

فلك ثابت النظام وكون   مدهش رائع غريب الشؤون
كل ما فيه من طلاسم اسرار ستبقى طلاسما للعيون
اترى الارض وهي كالعقرب – الدوار قد تنتهي لحال سكون

ويتطلع الشاعر وبين جوانحه لهيب كاو لئلا يحجب ذاته عن ما يتربص به ويضطرب حواليه ، كدليل على اخفاقه في السير الطويل مفتشا .. متشوفا .. يتطلع والشوق يستفزه والخيال يستدرجه ، الى العوالم المجهولة والآفاق اللامتناهية ، واذا ما تولاه الشك ولحقته مرارة التفتيش ، فزع الى الطبيعة ، خلاصا له ، معريا نفسه بين يديه ، مداريا خوره وحيرته ، مبررا ارتداده ..

كل يعود الى الحياة مجددا للعيش عهده
فالزهر يبعثه الربيع فيلبس الالوان برده
وتعود في شكل الفراشة دودة في شرنقه
تزهو بمخمل جانحيها الابيضين مصفقه

ان اللاادرية غزت فكر الشاعر وعصفت بوجدانه المتعطش لنبضات اليقين والهدوء :

انا لست ادري والصواب بان أجاهر لست ادرى
حب البقاء وهاجس التخليد شهوة كل فكر

هكذا يظهر تأثر الشاعر الجر في تساؤلاته وترداده بايليا ابي ماضي في قصيدته الشهيرة « الطلاسم (١) » ، ومن نسج على منواله :

الهذا اللغز حل   ام سيبقى ابديا
لست ادري ولماذا   لست ادري
لست ادري

وما دام يشك ولا يدري فالاحجى أن يعيش واقعه مستمرئا جهله :

ما دمت قيد الشك لا قبس يضيء ظلام ذهني
فلابق ما بقيت في الدنيا على جهل وغبن

ومع ضياعه في صحراء الوجود الرهيبة الوسيعة ، وشعوره بالفراغ والهزيمة فانه يستنجد بربه تائبا اليه ، راجيا غفرانه وعفوه :

رباه عفوك ان اشكك بعد هذا في وجودي
رباه لا ادري وقد ران الذهول على فؤادي
هل انني بشر ؟ وحولني الفراغ الى جماد
هل انني بشر كل الناس حر في قيادي
رباه هبني رحمة وازرع دروبي بالقتاد
باليأس بالحسرات بالالم المبطن بالسهاد
كل يهون لدى فراغ القلب من دنيا العباد

ولئن خاب الشاعر في تأملاته وتطلعاته ، وبات مشلولا احساسه ومغلولا فكره ازاء هذا الكون ونظامه السرمدي .. ازاء البقاء والفناء .. ازاء الحشر والنشر .. فقد آثر الانزواء والانسحاب ، ليتهالك على ينبوع الشعر مغترفا ، ولينشد منطلقا ، اثباتا لوجوده ، وتعويضا عن ما فاته ، وعن ما يمكن أن يفوته ..

بغداد– الاعظمية   وحيد الدين بهاء الدين

١ – عارضها ورد عليها الشاعر والمفكر العراقي محمد جواد الجزائري في (حل الطلاسم) .



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

الساعة الرابعة ونصف

ويقولون : تبدأ الحفلة في الساعة الرابعة ونصف ، ولا يجوز هنا ان نعطف النكرة (نصف) على المعرفة (الساعة) . وخطاوا ايضا من يقول : في الساعة الرابعة والنصف ، خوفا من ان يكون النصف هو نصف الاربعة (وهذا غير معقول) ، او نصف شيء آخر غير الساعة (وهذا غير معقول ايضا) ، لان جميع العرب ، عندما يعطف (بضم ياء المضارعة) النصف على الساعة ، يفهمون ان النصف هو نصف الساعة) ، لذا لا ارى ما يحول دون قولنا : في الرابعة والنصف .

اما من خاف النقد ، فما عليه الا ان يقول : في منتصف الساعة الخامسة ، او : في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين .

سوف لا ، سوف لن

ويقولون : سوف لا يجيء المعلم وسوف لن يجيء القاضي . والصواب: لن يجيء المعلم ولن يجيء القاضي ، لان (سوف) يجب ان لا تفصل عن الفعل ، حسب رأي سيبويه . وهي ايضا لا تدخل الا على الفعل المثبت (راجع الآية الخامسة من سورة الضحى) .

وقد أجاز صاحب النحو الوافي الفصل بين (سوف) والمضارع الذي تدخل عليه بفعل آخر من افعال الالغاء ، مستشهدا بقول الشاعر زهير بن أبي سلمى :

وما ادري وسوف ـ اخال ـ ادري اقوم آل حصن ، ام نساء

وانا ارى ان الضرورة الشعرية حملت زهيرا على اقحام الفعل (اخال) بين (سوف) و (ادري) ، لان الفصل بين (سوف) والفعل المضارع في النثر تبدو عليه الركاكة بوضوح تام .

السوق

يؤنث معظم الادباء كلمة (سوق) ، رغم ان المعاجم كلها تجيز تانيثها وتذكيرها .

وأنا ارى ان تذكير هذه الكلمة اولى ، لان العامة في جميع الاقطار العربية التي اعرفها تذكرها . ونحن يجدر بنا ان نسعى الى التقريب بين الفصحى والعامية قدر استطاعتنا ، وعلينا ان نستعمل كل كلمة فصيحة تستعملها العامة ، ونحاول التحادث بالفصحى مع تسكين اواخر الكلمات ، كما فعل عدد كبير من اصدقائي ، ونجحوا في ذلك نجاحا باهرا ، واستطاعوا امتلاك ناصية اللغة .

سوى على ، سوى في

ويقولون : لم اعثر سوى على كتاب واحد ، ولم اخسر سوى في صفقتين اثنتين . والصواب : لم اعثر على سوى كتاب واحد ، ولم اخسر في سوى صفقتين اثنتين ، لان (سوى) و (غيرا) تضافان الى الاسم ، والمضاف اليه لا يكون حرفا . ويشترط في الاسم بعد (غير) و (سوى) :

١ ـ ان يعرب مضافا اليه دائما .
٢ ـ ان يكون مفردا (ليس جملة ولا شبهها) .

ذهبوا سوية (بتشديد الياء)

ويقولون : ذهبوا الى النادي سوية . والصواب : ذهبوا معا ، لان (السوية) هي مؤنث (السوي) ، فنقول : هما على سوية في هذا الامر ، أي : مستويان . وقسمت الشيء بينهما بالسوية ، أي : بانصاف . ولكلمة (سوية) معان عديدة ، اشهرها :

١ ـ التامة الخلق والعقل .
٢ ـ ارض سوية : مستوية .
٣ ـ كساء يوضع على ظهر البعير ، وهو من مراكب الاماء .

سائر الطلاب

ويخطئون من يقول : المعلم يعرفه سائر طلابه ، ويقولون : ان الصواب هو : المعلم يعرفه جميع طلابه ، او طلابه كافة او قاطبة . وحجتهم في ذلك :

١ ـ ان (سائر) تعني : البقية ، كانه من الفعل : سار (بقي) يسار فهو سائر .

٢ ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي يقول فيه: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، أي : باقيه . وتكررت هذه الكلمة في الاحاديث ، دون ان تعني في واحد منها : الشيء جميعه .

٣ ـ اعتمادهم على قول الحريري في درة الغواص في اوهام الخواص .

٤ ـ قول ابن الاثير : والناس يستعملونه في معنى الجميع ، وليس بصحيح .

٥ ـ جاء في التكملة : سائر الناس : بقيتهم ، وليس معناه جماعتهم ، كما زعم من قصرت معرفته .

٦ ـ قول الصاغاني كما نقله المصباح : سائر الناس : باقيهم ، وليس معناه جميعهم .

اما الشهاب في (كشف الطرة) ، فقد أيد ان السائر هو البقية، ثم عاد فاستشهد بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال لغيلان بن سلمة الثقفي ، عندما أسلم ، وله عشر نسوة : اختر اربعا

وفارق سائرهن . واستشهد بعد ذلك ببيت أنشده سيبويه ، وآخر قاله الشنفري ، وعجز بيت قاله ابن احمر ، وبيت قاله الشاعر الجاهلي مضرس (بضم ففتح فراء مكسورة مشددة) ابن ربعي (بكسر فسكون فكسر فتضعيف) ، فيستنتج ان (سائر الشيء) قد تعني معظمه ، ولا يرى انها تعني : جميعه .

واكتفى الجوهري في صحاحه بأن قال : سائر الناس جميعهم . وأيده في ذلك ابن الجواليقي ، وحققه عبد الله بن بري في حواشي الدرة ، وأنشد عليه شواهد كثيرة ، وادلة ظاهرة ، وانتصر لهم الشيخ النووي في مواضع من مصنفاته ، وسبقهم امام العربية ابو علي الفارسي ، وحذا حذوه تلميذه ابن جني .

ولكن التاج واللسان والمحيط ومتن اللغة تجيز اطلاق كلمة (سائر) على الباقي ، وعلى الجميع . ويكثر التاج من الامثلة المنظومة والمنثورة التي تثبت ان قولنا : (سائر الناس) قد يعني : جميعهم ، او بقيتهم ، او جلهم (معظمهم) .

الشبيبة

يقولون : الشبيبة العرب . والصواب : الشبان العرب ، لان (الشبيبة) مصدر . نقول : شب الغلام يشب (بكسر الشين) شبابا وشبيبة ، أي : صار فتيا . و (الشبيبة) ايضا اسم خلاف الشيب.

وعندما قال المتنبي :

اتى الزمان بنوه في شبيبته   فسرهم ، واتيناه على الهرم

عنى بشبيبة الدهر حدثانه ونضرته . وقد قال الشيخ ناصيف اليازجي في شرحه ديوان المتنبي : يروى : أتى الزمان بنوه (في حداثته) .

ويرى سيبويه ان كلمة (شباب) هي الفتاء والحداثة ، مثل (شبيبة) . وهي ايضا اسم للجمع (شبان) .

اما جمع الشاب فهو : شبان وشباب وشببة (ثلاث فتحات) . وأجاز ابن الاعرابي ان نقول : رجل شب وامرأة شبة (بتشديد الباء فيهما) . أي : من الشباب .

شتان

ويقولون : شتان بين الحق والباطل . والصواب : شتان ما بين الحق والباطل . و (شتان) : اسم فعل بمعنى (بعد بعدا شديدا) . اما قول الشاعر :

جازيتموني بالوصال قطيعة   شتان بين صنيعكم وصنيعي

فقد قال ابن هشام الانصاري ، في شرح شذور الذهب ، بأن العرب لم تستعمله . وقد يخرج على اضمار (ما) بعد (شتان) .

وأورد النحو الوافي قول الشاعر :

الفكر قبل القول يؤمن زيفه   شتان بين روية وبديه

والمراد بالبديه هنا هو : التسرع بغير اعمال فكر . ولم تأت (ما) بعد (شتان) في هذا البيت ايضا .

فما دام هذا جائزا في الشعر ، وما دامت (ما) زائدة ، وما دام لسان العرب يقول : ومن العرب من يقول : شتان بينهما ، ويضمر (ما) ، كأنه يقول : شت الذي بينهما ، فانني لا أرى مبررا لتخطئة من يحذف (ما) بعد (شتان) في النثر .

شحرور

ويطلقون على الطائر الغرد المعروف اسم (شحرور) بفتح الشين . والصواب : شحرور (بضم الشين) . ويقال له الشحور (بفتح فسكون ففتح) ايضا . والجمع : شحارير .

شخصة

ويقولون : رأيت شخصة . والصواب : رأيت شخصا . والشخص (بفتح فسكون) هو : سواد الانسان وغيره ، تراه من بعيد . وجمعه: أشخص وشخوص وأشخاص .

الشاربان

ويخطئون من يثني الشارب ، فيقول : شاربا الرجل . ويصح ان نقول: شاربا الرجل ، وشاربه ، وشواربه .

قال اللحياني : وقالوا انه لعظيم الشوارب . ثم قال : هو من الواحد ، فرق ، وجعل كل جزء منه شاربا ، ثم جمع على هذا .

أما ابو علي الفارسي وابو حاتم ، فقد قالا : لا يكاد الشارب يثنى .

وقال أبو عبيدة : قال الكلابيون (شاربان) باعتبار الطرفين ، والجمع : شوارب .

ومن لطيف ابن نباتة :

لقد كنت لي وحدي ، ووجهك جنتي   وكنا ، وكانت للزمان مواهب
فعارضني في روض خدك عارض   وزاحمني في ورد ريقك شارب

وما دام أئمة اللغة على هذا الخلاف بالنسبة الى هذه الكلمة ، فأنا أرى ان نوافق على استعمال الشارب :

١ ـ مفردا ، فنقول : شارب الرجل .
٢ ـ مثنى ، فنقول : شاربا الرجل .
٣ ـ جمعا ، فنقول : شوارب الرجل .

وبذلك نكون قد أزلنا عقبة صغيرة تعترض سبيل من يدأبون في تجنب الاخطاء في كتاباتهم .

وقع في الشراك

ويقولون : وقع الاسد في الشراك (بكسر الشين) . والصواب : وقع في الشرك (بفتح ففتح) ، أي : في حبائل الصيد . واحدها : شركة (بفتح ففتح) . وجمع شرك : شرك (بضم فضم) .

اما الشراك (بكسر الشين) ، فهو : سير النعل على ظهر القدم. وجمعه : شرك (بضم فضم) .

شعت الشمس

ويقولون : شعت (بتضعيف العين) الشمس ، أي : نشرت اشعتها . والصواب : أشعت الشمس . قال الشاعر :

اذا سفرت تلألأ وجنتاها   كاشعاع الغزالة في الضحاء

ومن معاني الفعل (شع) :

١ ـ فرق . تفرق ، ٢ ـ أسرع .
٣ ـ شع الغارة عليهم شعا (مجاز) : صبها .

شغوف

يقولون : هو شغوف بها . والصواب : مشغوف بها ، أي : شديد الحب لها . ونقول : شغفه حبه ، أي : بلغ شغافه (بفتح الشين) . والشغاف هو : غلاف القلب .

شفوق

ويقولون : فلان شفوق ، أي : رحيم . والصواب : فلان شفيق ، او شفق (بفتح فكسر) ، او مشفق .

صيدا ـ لبنان   محمد العدناني

النشيد الثاني

من

« للحب .. للحرية »

•

صباح الدين كريدي

•

حلب

لو كنت يا حبيبتي مغنيا ، او شاعرا جوال
أطوف تحت الشرفات الناعسه
في ظلمة مضيئة بقمر صغير ،
على هضاب قرطبه ..
لكنت يا حبيبتي مشيت في الازقة المبلطه
أود لو أكتم وقع كعبي السميك
أود لو تنام كل عين ..
أود حتى الشجر الواقف ان ينام ،
الاك يا حبيبتي ..!
وعندما أرنو الى شرفتك المستيقظه
أخف ، حتى أنني أكاد أن اطير
فراشة ، قبرة أكاد أن أصير ..
وعندما تشتعل الاوتار بالغناء
تصطفق الوديان والغابات بالتنهدات
تأتين يا اميرتي وئيدة ، فتسكتين الضوء في المصباح
تلقين لي بوردة كانت على مأملك المفتح الصغير
أضعها في داخل القيثار
أتابع الغناء ،
أرتجل الاشعار !
وعندما تزدهر الحجارة الملونه
وخشب الشرفة ، والستائر المزركشة
أحس ان القهر .. كل القهر
تشربه الرمال حتى الرمق الاخير ..
تأتين يا حبيبتي أبهى من القمر !
تحملنا النسائم المغردة
للقصب الصافر عند النهر
نصطاد من أسماكه الفضيه ،
نأكلها مشوية ، مملحة ..
نجلس فوق صخرة ملساء
نهمس بعض ساعة بالحب
نصمت بعض ساعة للحب ..
وعندما ينحدر القمر ،
على الهضاب الصامته ..
نصعد نحو الشرفات النائمه
وعندما يستيقظ المصباح من جديد ..
أود لو نظل عند بعض
أود لو نظل عند بعض !!

في يوم من ايام ديسمبر . السماء كثيفة وملبدة . الشمس تختفي خلف السحب . المطر ينهمر كالسيل . بدا الكون وكأن الليل قد هبط . في هذا الجو ، كانت الفتاة تترنح في سيرها ، وكنت اسير خلفها ، بعيدا عنها ببضعة امتار . خطوتي اطول من خطوتها . شارع رمسيس بغمرة خلا الا من العربات التي تسبح فوق المياه وتحت السيول الجارفة . لحقت بالفتاة . لمحت في عينيها نظرات من يطلب العون . وكانت حقا في حاجة الى من يعينها . خلعت « الجاكتة » لفوري . بشجاعة تقدمت نحوها ، كسوت بالجاكتة كتفها ، حمت بها نفسها . نظرت الي دهشة . اومأت براسها شاكرة .

اشتد المطر . سرنا جنبا الى جنب. طال حديثنا . قطعنا الطريق سويا . كان وجهتنا واحدة . احتمينا في « مترو النزهة » .

القاطرة تشق طريقها ببطء . التأففات تنبعث من الكتل البشرية المحشورة داخلها . اي منا لم يحس بالملل . اشرفنا على محطة « صلاح الدين » بمصر الجديدة . تأهبت انا للنزول . ترددت . لست ادري كنه ترددي . اهو شعوري بالدفء . اهي نية مخلصة في اتمام الجميل مع رفيقة الطريق . او ان السبب هو نظرات اللوم التي رمتني بها الفتاة .

وقف المترو على محطة « تريومف » . نزلنا . سرنا ايضا جنبا الى جنب . لم يشك احد في اننا قريبين او حبيبين .

وكان هذا اليوم هو بداية قصة « ناهد » معي . فتاة جامعية ، جميلة ، مرحة ، صريحة ، منطلقة. لا استطيع ان اصف مدى سعادتها عندما نلتقي . تقيم الدنيا وتقعدها اذا اخلفت ميعادا ، وتمطرني بوابل من الاسئلة : لماذا تاخرت ؟ اين كنت ؟ مع من ؟ عرفت منها الكثير عنها ، اسرارها ، همومها . افسحت لها صدري . سعادتها انها تقرا لي كل ما انشره في الصحيفة التي اعمل بها وفي غيرها . تتابع قلمي . تعيش مع سطوري وكلماتي . والواقع انني كنت احمل لها احتراما كبيرا ، واعتز بصداقتها ، واشيد بصراحتها .

ولكنها كاشفتني بشيء كان يجب ان افطن اليه ، ولكني كنت غافلا عنه . قالت لي انها تحبني ، وانها بغيري لا معنى للحياة عندها ولا طعم .

صعقت . ليتها لم تقل هذا . لم يكن ذلك في حسباني . اشفقت



بقلم كرم عطا الطويل

عليها . ماذا اقول لها . بماذا اصارحها . . هل اتلاعب بعاطفتها التي اعلم جيدا انها صادقة . هل امثل عليها الحب ام اصدمها بحقيقة شعوري نحوها فأعذبها .

لم يطل تفكيري كثيرا . استجمعت قوى ارادتي وعقدت عزمي على البدء في تنفيذ ما نويته في نفسي . مؤشر الساعة يعلن السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين . موعدنا السابعة في حديقة الميرلاند بمصر الجديدة . لن اذهب اليها .



الافكار تتزاحم في راسي . الذكريات تتوالى . شريط طويل يمر بخيالي . صور باهتة وصور واضحة . صور تتألق فجأة وصور تختفي فجأة . احسست ان هناك شيئا يطبق على انفاسي . اريد ان انطلق . اريد ان اطفيء هذه النار المتقدة في راسي . نهضت . ارتديت ملابسي متهيئا للخروج . لم يفارقني الخيال لحظة . خرجت ، وكأن الذكريات وجدت متنفسا لها في الطريق . فتزاحمت ووضحت اكثر فاكثر .

ان ما حدث منذ سنوات يتجسم اليوم امامي . كأنه حدث بالامس ، الآن ، هذه اللحظة ، لانني احس به ، اعيش فيه ويعيش معي ، ينبض في عروقي ، يجري في دمي ، يسري في روحي .

واعود الى الوراء . الى ما قبل معرفتي لناهد بسنوات . كان قلبي شفافا كورقة بيضاء لم يكتب فيها حرف بعد ، صافيا كماء عذب نقي، خاليا كسماء لا تشوبها سحب ولا يلوثها ضباب . ولكن خيالي المشبوب كان لا يفتأ يرسم صورة حلوة رائعة لفتاة سمعت عنها ولم ارها ، « فدوى » بنت « عم فهمي » الرجل الفقير الذي كان يبتاع لوازمه من متجر والدي . وكنت اتحين الفرصة لارى هذه الفتاة . وسنحت الفرصة . كان قلبي يدق بعنف وانا ارتقي درجات سلم البيت الذي تقطنه في حي شبرا . كنت اصعد السلم وكأني متجه لاحلق في سماوات لا نهاية لها ، فيها الحياة المنشودة . فيها السعادة والحب والاطمئنان . كنت كمن يتمنى ان يرقص ويغني ويظل يرقص ويغني الى ما لا نهاية .

المنزل قديم ، مصدع الجدران ، نال منه الزمن ، دخلت الحجرة . حجرة واحدة تضاءلت عيوبها في نظري امام نظافتها ، وترتيب محتوياتها . هذا هو « عم فهمي »

الرجل الخامل الكسول ، يقبع في زاوية من الحجرة ، يجلس متربعا على كرسي عولجت قوائمه اكثر من مرة . انه رجل جاوز الخمسين . وتلك هي زوجته ، امراة نحيلة مثله ، مشتعلة الحركة ، دائبة النشاط ، تملأ الحجرة بل والطابق كله ضجيجا وحياة . وهي امراة تناهز الخامسة والاربعين . وهؤلاء هم ابناؤه . كان قلبي ما زال يدق وأكاد اسمع نبضاته وانا رسل بصري بلهفة واختطف يدي بسرعة من ايدي الرجل وزوجته كي اصافح ابناءه ، وسألت متلهفا : واين فدوى ؟.. ولذت بالصمت . انعمت النظر فيمن هم حولي كي اقرا في ملامحهم صدى استفساري الذي طلقته دون وعي . ولكني وجدت ترحابا خالصا . وفجأة ، اقبلت فدوى ، مختالة في مشيتها ، وطيدة ومطمئنة في خطواتها . ومع طرقات اقدامها تسارعت ضربات قلبي لتملأ كياني وذاتي وتهزني من الاعماق . مددت يدي اصافح الفتاة . تعمدت ان اطيل المصافحة ، ان تظل يدي ممسكة بيدها ، وهتف بي هاتف : ليت في وسعك ان تأخذ الفتاة وترحل ، تأخذها وتذهب بعيدا ، بعيدا عن عيون الناس ، عن عيون الغدر ، عن عيون الزمن . واستيقظت من شرودي اثر ان سحبت فدوى يدها من يدي برفق . وراحت تعد طعام الفداء .

ورحت انا في غيبوبة الاحلام مرة أخرى . كان عم فهمي يتحدث الي واذني تنصت الى كل ما تتفوه به فدوى . كانت زوجته توجه الي كلامها وبصري كله معلق بفدوى وبكل حركة تصدر منها .

وجلسنا كلنا نتناول الطعام . جلست فدوى قبالتي ، وجهي لوجهها . يا الهي : اريد ان اضمها الى صدري ، اريد ان احميها بين ذراعي ، احميها من اي شيء ، اريد ان افضي اليها بكوامن نفسي من آلام وآمال .

ومضى هذا اليوم . ومضت بعده ايام ، وكبرت بعده الاحلام . ولم اتحمل فراقها . تذرعت بشتى الحجج ، اختلقت مختلف الاسباب كي أزور عم فهمي . وكنت اتمتع بحب هذه الاسرة واعجابها .

اما فدوى ، فتاة متوسطة لقامة ، ممشوقة البدن ، ذات وجه قمحي اللون ، ناضر وطيب وسمح ، تتناسق تقاطيعه في مهابة ودعة . اما عيناها العسليتان فتنبعث منهما براءة مطلقة تأخذ بالالباب . اما فمها فشهي براق الثنايا ، حلو الحديث . رأيت في الفتاة انوثة منطلقة وفياضة .

وادركت فدوى انني احس نحوها احساسا خاصا ، واوليها اهتماما بالغا . كانت تقابلني بابتسامة فاتنة ولكنها غامضة . وكنت كلما تحدثت اليها ينتابني احساس لا اقدر على مقاومته ، فأحاول ان انتقي الالفاظ واختار العبارات فأتلعثم في كلامي .

ومرت الايام . لم تغب فدوى عن ذهني ولا عن خيالي . وعلى هذا الحال توالت الشهور . اخذتني دوامة من التفكير . لا مفر اذن من ان اسطر بها ما اريد وابعث بسطوري اليها . وبعثت برسالتي الاولى على عنوانها في مدرسة شبرا . واحجمت عن زيارتها . لم اجد في نفسي القوة على مواجهتها. كنت افضل ان تبعث لي بالاجابة كي اتيقن من شعورها نحوي فيمكنني بعد ذلك ان اواجهها بثقة .

خاب ظني . لم تأتني اجابة لجوابي . بعثت لها برسالتي الثانية ، وخاب املي مرة اخرى .

وعشت في وهم غريب . ربما لم تتلق فدوى الرسالتين . ربما تاه الخطابان في مكاتب البريد . ربما . ربما اي شيء .

وباتت ايامي ثقيلة ، طويلة ، امست الليالي حالكة ، اتوه في ظلامها كما يتوه الحيارى . ولم تحمل هذا العذاب . نفد صبري . جمعت ذات يوم شتات نفسي . انطلقت الى شبرا . اسرعت الى منزل فدوى . وجدت نفسي وقد امتلأت بطاقة من الشجاعة والاقدام. صفا الجو لي . كانت الفتاة بمفردها . سألتها عن الرسالتين . اجابتني في كلمات معدودة ، وقد ارتسمت على محياها علامات عتاب . ايقنت انا انني اسأت اليها بالرغم مني ، لان ناظرة المدرسة قد سمحت لنفسها ان تستولي على كل رسالة الى اي طالبة من طالبات مدرستها ، زودا عن مسلك الفتيات .

عدت وانا اجر نفسي جرا الى منزلي . كانت خطواتي غير ثابتة ، اختلطت في وجداني انفعالات شتى ، كنت نادما وحزينا لانني لم اتبصر جيدا في تصرفاتي فأحدثت مضايقات لفدوى ، وانا الحريص على ان ادخل على قلبها السرور وعلى نفسها البهجة والسعادة . وكنت مغتبطا لان عبارات العتاب الرقيقة التي ما زالت تملأ مسامعي وتجيش في صدري ازاحت عن نفسي بعض اليأس .

ولقد كان الحب اقوى من اي شيء . تمكن مني . ونسيت نفسي – ذات ليلة – وانا اكتب لفدوى رسالتي الثالثة . كنت كسباح غير ماهر وهنت يداه ويستميت وهو يضرب بهما الامواج الهادرة في بحر شاسع ترامت شواطئه .

وطاوعني قلمي . وسردت قصتي . سطرت واقعي كله . املي والمي . هنائي وتعاستي . معنى الحياة عندي . كنت اخاطب القلب في فدوى . واختلطت دموع عيناي بالكلمات والسطور . احسست بدموعي وهي تحفر لها مجرى على خدي وتسقط دون وعي مني على

الورق الذي اسطر عليـه لتنطق بالصدق الذي لا يرقى اليه صدق. وتصرخ بالحقيقة كلهـا والاخلاص كله . وتعلن عـن الطيبة التـي لا تدانيها اخرى .

ازدحمت الكلمات . طالـت السطور . تعـددت الصفحات . ست صفحات . طرت بالرسالة الى فدوى . حالفنـي الحظ . امهـا مشغولة ووالدها في عمله . مددت يدي بالرسالة الى الفتاة في انطواء وخجل ، فتناولتها هي في شموخ. تنفست انا الصعداء . كنت كمن القى عن كاهله بحمل ثقيل . انطلقت لفوري عائدا ادراجي وانا الهث . احتوتني مشاعر مختلفـة . لبثت متلهفا . قبعت في منزلي مترقبا على احر مـن الجمر اشارة مـن فدوى . مضت ثلاثة ايام خلتها دهرا . وفي مساء اليوم الرابـع زارنا رجل يمت بصلة قرابة الـى والدة الفتاة ، تحدث الى والدي في متجره . كنت انا في البيت . دخل والدي واخوتي عائدين من المتجر ومصحوبين بذلـك الزائـر . دهشت . كانت وجوههم مكفهرة ، عابسة . حتى الزائر الذي اندفعت اصافحه بحماس ، الفيتـه وهـو يصافحني وكانه يريد ان يتخلص من مهمته حالا ، ففتر حماسي علـى الفور ايضا . لمحت اخي الاصغر يهرع الى الداخل يحمل نبأ خطيـرا الى والدتي .

وتكدسنا كلنا فـي الصالون ، والدي والضيف ووالدتي واخـي الاكبر واخي الاصغر وانـا . دس ابي يده في جيبه ، اشهر فجـاة بضعة اوراق وكانه يشهر دليـلا ناصعا من ادلـة جريمة شنعاء . بسط الاوراق امامي. انظار الجميع مصوبة تجاهي ، تلتهمني التهاما . افرد ابي الاوراق . وعلى الفـور احتواني الخبل ، خبـل رهيب . صدمت صدمة مروعة . احسست وكأن قصرا شاهقا مـال وسقط وتهدم ودفنت وحـدي تحـت انقاضه . لقد كانت هـي رسالتي الثالثة . لم ابك . فقد كنت ما زلت مذهولا . وكانت الملامـح التـي ارتسمت على وجه والدي تنم عـن غضب لا مأمن لعواقبه . وفجاة يهم ابي ، ابي المحافظ ، الفليظ ، يهـم بالانقضاض علي ، بلا رحمة . لـم اتحرك ، لم اقاوم ، لم احاول تفادي ضرباته .

وكانت ليلة مريـرة . وتوالت الايام بعدها اكثر مرارة . فيهـا العذاب كله ، وفيها الشقاء كله .

وجمعت انقاض نفسي المحطمة ، التائهة ، الفارقة ، وقاومت رغم كل شيء . كافحت ببسالـة . ناضلت باستماتة . لا بد ان انتصر علـى نفسي ، على شقائي . انكببت على دروسي . كـان الامتحان علـى الابواب . وحدثت المعجزة . كنت من المتفوقين .

ومضت الايـام ، والشهـور ، والسنين . كنت اتخبط في حياتي واقاوم . اكافح واناضل . انتصر تارة واهزم تارة اخرى . وكـان هناك طريق آخر كنت قد سلكتـه منذ وقت طويل ، وجـدت نفسي عليه يحالفني النجاح تلو النجاح . لقد اردت انا او اراد الزمن ان تكون الكلمة صناعتـي ، فاحترفتها . واصبحت رجلا يعيش حياته فـي دنيا الكتابة وعالم الفكر . واصبح « يوسف صادق » ، اسمي ، لـه الكثير من القراء في كـل مكان . وانا في طريقي هذا، رمتني الاقدار بناهد في ذلك اليوم الممطر الملبد بالسحب . ناهد التي احبتني حبا عاصفا ولم تكن بالنسبة لـي سوى صديقة . والتي قررت اليوم ، ان اقاطعها ، من اجلي ومن اجلها .

فالافكار قـد برحت بـي . والذكريات قد ظلت تدور وتتلاحق حتى استفاضت . والليل قد ارخى سدوله . والظلام قد احتواني فـي جوفه . وقدماي قد ساقتني حتى البيت الجديد الذي يقـع فـي مشارف مصر الجديدة ، والـذي تقطنه فدوى ، والذي يرجع الفضل في تشييده اليهـا وأمها ، الـى كفاحهما الرائع في معترك الحياة . وسبع سنوات قد انقضت حتـى هذه اللحظة لم ار فيهـا فدوى . ووقفت تجاه البيت . لـم ادخله . ظللت متسمرا في الشارع الواسع كالتائه . عيناي معلقتان بالطابـق الذي تسكنه الفتـاة . النوافـذ منفرجة علـى مصراعيهـا . ضوء النجفة الكريستـال ينبعث بقـوة مخترقا خصاص الستائـر التـي ترفرف فيرفـرف معهـا فؤادي الجريح . التقت عيناي بالشعـاع المنبعث . عجزت عـن رؤيـة اي شيء. طفرت من عيني دمعة تنم عن عذاب دفين . اوليت البيت ظهري. اتخذت طريقي الى حديقة المريلاند. لاحت لي الحديقة مـن بعيد تسبح في اضواء النيون المختلفة الالوان . ما زالت الافكار تجثم على ذهني . الساعة الآن التاسعة . موعدي مع ناهد كان السابعة . اخترقت الباب الحديدي للحديقة . ضجيج الرواد يملأ المكان بشرا وحيـاة . تجاوزت الطريق الرملي الاصفر . وقفت . تخفيت وراء الحائط المكـون مـن سيقان واوراق الزرع المتشابكة مع الاسلاك الشائكة ، والذي يفصل بين الحديقة والكازينو الذي يتوسطها . ارسلت بصري الـى المكان الـذي تعودنا الجلوس فيـه . احتوانـي الدهش . لمحت ناهد وقد احتوتها لهفة الترقب . مـا زالت تجـول ببصرها هنا وهناك . اختلطت فـي نفسي العديد من المشاعر . تراجعت للخلف خطوتين . اندفعت عائدا ، وانطلقت الـى منزلي تائها ومتخبطا ومنسحقا ومتعثرا في خطواتي .

القاهرة — **كرم عطا الطويل**

جميل علي - وليد قحاوي

سليم سلامه - جورج شهلا

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ جميل علي

اشتهر « جميل » بسعة الافق وشمول الفكرة وتوقد الخاطر ... واختار حكمة القاص الاميركي همنجواي شعارا له : « كلنا اقرباء ... وقد جففت ثيابنا أشعة شمس واحدة ! »

ولد « جميل » في مدينة صفد بفلسطين عام ١٩٠٧ واكمل دراسته الابتدائية في مدرسة الحكومة ودراسته الثانوية في الكلية الاسكتلندية بصفد عام ١٩٢٧ ونال المترك الفلسطيني عام ١٩٢٧ ومترك لندن عام ١٩٢٨ وانترميديت فلسطين عام ١٩٢٩ ثم التحق بمعارف فلسطين وعين استاذا في ثانوية صفد مدة خمس سنوات (١٩٢٩ ـ ١٩٣٣) وابتعثته حكومة فلسطين عام ١٩٣٣ الى كلية اكسيتر بجامعة لندن واحرز منها شهادة التخصص في الرياضيات العالية ثم عاد الى فلسطين وعين استاذا للرياضيات في الكلية العربية بالقدس عام ١٩٣٧ فمفتشا أعلى للرياضيات والعلوم في ادارة المعارف العامة عام ١٩٤٨ .

وبعد ان طوحت النكبة الاولى بعرب فلسطين مشرقا ومغربا عام ١٩٤٨ لجأ « جميل » الى دمشق وعين استاذا محاضرا للرياضيات في كلية العلوم بالجامعة السورية وظل يزاول عمله هذا لعام ١٩٥٣ ، وفي خريف هذا العام عين استاذا في دائرة الرياضيات بالجامعة الاميركية في بيروت .

من آثاره القلمية : عالج جميل » العلوم الرياضية كما عالج الادب نظما ونثرا ومن المقالات التي نشرتها مجلة « المنتدى » المقدسية بقلمه « الشاعر الاغريقي بروميثيوس » و « ذكريات التلمذة في اكستر » ، ومن مؤلفاته المطبوعة :

١ ـ تاريخ العلم (ج١ و ج٢) تاليف جورج سارتون (ترجم الاستاذ جميل علي قسم الرياضيات والفلك الى العربية وقد طبع هذا القسم عام ١٩٥٩) .

٢ ـ تحديد نهايات الاماكن ـ تاليف ابي الريحان البيروني ـ (ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية الاستاذ جميل علي بمناسبة اليوبيل المئوي للجامعة الاميركية وقد طبع عام ١٩٦٧) .

نموذج من شعره : قرض « جميل » الشعر الرقيق ، ومن منظومه قطعة ترجمها من رواية « همليت » الانكليزية وفيها يناجي البطل « همليت » حبيبته « اوفاليا » . ودونك الترجمة :

لا عليت ان شككت ان في الانجم نارا
لا عليت ان شككت ان للشمس مدارا
لا عليت ان شككت يكذب الصدق جهارا
بل عليت ان شككت ان حبي قد يجارى

نموذج من نثره : « الانكليز يسمون مقاطعة ديفونشير ، ديفون الفتانة ، وذلك لسحر الجمال الطبيعي الاخاذ في ذلك الاقليم ، لصحو الجو ودفئه ، لكرم السكان وكياستهم ، ولجمال الغيد الحسان . فالشاعر الرومانتيكي الخالد ، جون كيتس ، تغنى بجمال هؤلاء الغيد في مقطوعة عنوانها « عذراء ديفون » والى القراء قطعة منها :

الا فاهنأن يا عذارى ديفون ، فان من غنى لجمالكن ، هو من سحر البلبل بشدوه في غابات فلورنسا !

عاش جون كيتس مدة من الزمن في بلدة تموث التي لا تبعد عن اكستر اكثر من خمسة وعشرين كيلو مترا . وقد زرت بيت الشاعر وقلت : أفي مثل ذلك البيت الوضيع عشت يا كيتس وغنيت للعالمين باعذب الالحان فع مطلع قصيدتك « اندميون » تعالت روحك يا شاعر .

اكستر يا ابنة الجمال ! انت مدينة الاحلام والآمال العذاب . انت مدينة الشباب . انت تدكين اهواءهم ، وتنمين آمالهم ، حتى اذا جاء حين اقتضاء اللذات ، اسعدتهم بالوصال . كيف يصعد فيك الشباب الى ارقى ما يستطيع الخيال ان يبلغ ؟ كيف ينشر مطيافك في الجو من منتزه البانوراما ، عند الاصيل ، تلك الالوان الزاهية المؤتلفة على هضاب دار تمور ؟ وانت يا قمر ! كيف تداني قبة السماء للساري في ضوئك على ضفاف الاكس ، بين تلك المروج الخضر ، فتصبح كتف الجوزاء ومناط الثريا دون قيد الميل ؟ ويا جنيات الشجر في غاب دريارد ! ما سر حنانكن على الرفاق ، في طرق الغاب الملتوية، في ظلمة الليل الساجي ؟

اكستر ايتها الجميلة ! فيك كنت انسانا حالما ، فيك خبرت السرور والالم ، فيك عرفت الحياة . ومن نفاذ الالم الى شغاف قلبي كانت لي فلسفتي الباسمة : اسارع الى الضحك من كل شيء مخافة ان تتساقط مني الدموع !

الآن اترك الاحلام واعرف الكلية الى القراء ... قلت الكلية ، لانها ليست جامعة ، فهي لم تمنح بعد براءة ملكية تخولها اعطاء شهادة جامعية باسمها . اما اسمها فهو : الكلية الجامعية لجنوب انكلترا .

لم يمض على تأسيس الكلية اكثر من سبعين عاما فهي حديثة العهد ، فقيرة في مواردها الموقوفة عليها ، وانواع الدراسات فيها محدودة ، وعدد طلابها ذكورا واناثا لا يربو على الخمسمئة والغلبة في هذا العدد للجنس اللطيف .

اما الدراسات التي يتخصص بها الطلاب فهي : الرياضيات ، الطبيعيات ، الكيمياء ، القانون ، الموسيقى ، التاريخ ، اللغات وبتقدم الطلاب بعد انتهاء دراساتهم الى الفحوص الخارجية لجامعة لندن للحصول على شهاداتها ، فتعقد الفحوص في معهد الطبيعيات والكيمياء التابع للكلية .

وفي الكلية ايضا مدرسة للاجانب يأتيها الطلاب من مختلف انحاء الارض ، ليدرسوا اللغة الانكليزية الفصحى ، وليضربوا الحديث بلسان انكليزي مبين . فالكلية تمتاز في حياتها الاجتماعية عن غيرها من الكليات في انكلترا ، بوجود مدرسة الامم هذه .

وفي الكلية ناد للطلبة ، وهيئة ادارة هذا النادي هي المسؤولة عن شؤون الحياة الاجتماعية في الكلية فهي التي ترتب الحفلات العامة ، وتيسر لهواة الرياضة الاشتراك فيما يرغبون ، وهي التي تشرف على اشتراك الطلاب في اعمال البر والاحسان في المدينة . فيوم ٣١ يناير من كل سنة ، يوم مشهود في حياة الطلبة ، وهو يوم « الثياب البالية » لان الطلبة في ذلك اليوم يرتدون اغرب الازياء ، وينشطون من الصباح الباكر يجوبون احياء المدينة فيجمعون المال لمساعدة المستشفى العمومي في المدينة . وبعد ظهر ذلك اليوم تجري مباراة في كرة القدم مع كلية لاهوتية في المدينة هي كلية القديس

اوفا ، فتسير جموع الطلبة الى ملعب الكرة ، في مهرجان رائع ، مجتازة شارع الملكة ثم الشارع الرئيسي ، وهي تهزج اهازيج مرحة تثير الضحك والحبور . وفي ليل ذلك اليوم تقام حفلة راقصة في فندق الروجمونت افخم فنادق المدينة ، يحضرها رئيس البلدية والاساتذة وعلية القوم في المدينة . واول من يثب الى حلبة الرقص هو رئيس نادي الطلبة ونائبته ، فيرقصان رقصة كاملة يحييهما الجمع الحافل خلالها بالتصفيق المتواصل تقديرا لخدماتهما ، وعند انتهاء رقصة الرئيس والنائبة يباح الرقص لمن يشاء .

وفي ليالي السبت من كل اسبوع تقام حفلة راقصة للطلبة في قاعة رحبة ، في الطابق السفلي في معهد العلوم . ودار المعهد هذه قائمة على هضبة خارج المدينة وهي تتوسط منازل الطلبة ، وهي اشبه بالقصور تحيط بها ملاعب التنس والرياض الفناء . وفي حلبة الرقص يلتقي الاصحاب ، وبعضهم احباب ، وقد يلتقي ويصطحب من هم ليسوا من اولئك ولا هؤلاء . اما عين الرقيب فقد تسطو على ازواج تتبادل الود الصافي . والى جانب ذلك قد لا تلحظ في بعض الازواج الا وجوها يغمرها الاسى ، واعطافا مرحة ، وهذا كل ما كان يراه كلمنصمو في مثل هذه الحفلات .

ومن الليالي الملاح التي كنت ارتقبها آخر ليلة في نهاية الفصل الاول قبل عطلة عيد الميلاد . ففي مثل هذه الليلة كان رئيس المنزل الذي عشت فيه ثلاث سنوات يدعو بعض الاساتذة وضيوفا آخرين الى حفلة العشاء والسمر . كان ضيوفنا في احدى هذه الليالي عميد الكاتدرائية في اكستر ومدير الشرطة واستاذ اللغة الانكليزية ومسجل الكلية ، وكانت الصدفة الحسنة فكان مقعدي عن يسار العميد الى جانب المائدة الرئيسية التي جلس اليها رب المنزل والضيوف . دخلنا قاعة الطعام فاختلفنا الى موائدنا ، جلسنا لتناول الطعام ... »

٢ ـ الدكتور وليد قمحاوي

في « نابلس » منجبة العشرات من المثقفين الواعين فتح « وليد » عينيه لنور الحياة ، وبعد ان أتم دراسته الابتدائية فالثانوية في « كلية النجاح الوطنية » كان في طليعة المبرزين بامتحان « المترك » الفلسطيني ، ومن توه الحق بالجامعة الاميركية في بيروت وفي نفسه حنين الى الادب ... لكنه سرعان ما هجر هذه الحرفة ـ الى حين ـ واقبل على تعلم الطب فنال شهادته عام ١٩٤٧ وقصد القاهرة للتخصص بالجراحة في القصر العيني .

وعندما دلفت قطعات من الجيش العربي الى فلسطين (١٩٤٨) لتحريرها من العصابات اليهودية تطوع « وليد » في « مستشفى الهلال الاحمر العراقي » (١٩٤٨ ـ ١٩٥٠) وادى رسالته لمواطنيه في غيرة واندفاع واخلاص .

وبعد وقوع « النكبة » الكبرى عاشها « وليد » بجسمه وعقله واعصابه وراح يفكر بواقع وطنه العربي المؤلم ويستقصي اسباب « النكبة » ومقدماتها ونتائجها . وفي سبيل معرفة الاسباب الحقيقية، ما ظهر منها وما استتر ، اقبل على درس تاريخ الامة العربية في كافة ادواره ، وسائر أطواره ، واستعرض آمال امته وآلامها ، واستقصى بواعث تعثرها وتاخرها عن ركب الامم الحية . وبعد بحث مستفيض دقيق ، ودرس متواصل عميق عن الجذور التي ترقى الى العصور العربية الاولى خرج « وليد » بموسوعة كبرى اسماها « النكبة والبناء » وفيها تجلى اثر العقل كما تجلى عمل الاعصاب ، فملأت هذه الدراسة الشاملة الكاملة دنيا العرب هتافا واعجابا اذ جاءت اوفى موسوعة لاخطر بحث ومعضلة !

أما الجهد الذي بذله الدكتور قمحاوي في دراسته العميقة الجذور ، المترامية الابعاد ، فانما هو جهد مؤرخ اصيل واسع الاطلاع، وكاتب سياسي عملاق !

واذا كانت « النكبة » الفلسطينية قد استأثرت بعناية الكتاب على اختلاف بيئاتهم ولغاتهم ، لانها اخطر الاحداث العربية على الاطلاق ، فموسوعة « النكبة والبناء » تجيء في طليعة شوامخ الكتب التي تناولت المشكلة الفلسطينية والنكبة الكبرى !

وكما ان « العقد الفريد » و « البيان والتبيين » و « كليلة ودمنة » و « الف ليلة وليلة » من اهم مصادر ادبنا فكتاب « النكبة والبناء » لمن ابرز الكتب التي صدرت عن القضية العربية عامة والمشكلة الفلسطينية خاصة ، وهو اهل لان يدرس في المدارس الثانوية ودور المعلمين والجامعات العربية ولان ينال « جائزة » جامعة الدول العربية .

وحسب القارىء ان يطالع هذا الاثر القومي الماتع ليحكم على الجهد الذي بذله الدكتور قمحاوي بمفرده فاعطى اشهى الثمار ، واوفى الاخبار .

قيل ان « هتلرا » ، بعد ان تسلم الحكم في الرايخ جمع مشاهير مؤرخي بلاده وسأل كلا منهم ان يعد له دراسة وافية عن اسباب فشل المانيا في الحرب العالمية الاولى وزود كلا منهم بامهات المصادر التاريخية والسياسية .

وفي الموعد المضروب اجتمع هتلر بالمؤرخين وانبرى يستوضحهم السبب الرئيسي لفشل المانيا فكان جوابهم بالاجماع « اليهود » !

وبالمقارنة فان « وليدا » انجز عملا جبارا بمفرده ، ووضع يد المشتغلين بالقضية العربية على موطن الداء ، وصور اهم الدواء ، وقال لهم بصراحته المعهودة : « متى رأيتم الاقطار العربية موحدة بعلم واحد ، وجيش واحد ، ورئيس واحد ، وقفت امتكم على ساقين من حديد ، ولحقت بموكب الامم الحية ، واستردت وطنها المغصوب ، وشرفها المعطوب ! »

وعن الدكتور قمحاوي ان يستغل « وزناته » في خدمة امته فأسس مستشفى في نابلس ليكافح الامراض التي اصطلحت على ريف بلاده وليرفع من مستواهم الصحي .

وفي عام (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣) قصد بريطانيا للاطلاع على تقدم الطب وسير فنونه فعاد الى موطنه ليطبق ما شاهده ، وتقديرا من زملائه في ضفتي الاردن انتخب نقيبا للاطباء ثلاث مرات متوالية (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) . ولو قدر لوليد ان يزاول الصحافة ، كما زاول الطب ، لحلق في جواء صاحبة الجلالة وكان نقيبا لها !

وانتخب الدكتور وليد ليعمل في « منظمة التحرير الفلسطينية » ايمانا من المسؤولين بانه « طاقة » زخمة تزخر بالحيوية ، وتتفجر بالنشاط !

من آثاره القلمية : كتب الدكتور قمحاوي في صدر شبابه مقالات اجتماعية انتقادية في الصحف الفلسطينية ، واول مقال نشره عام ١٩٣٦ في مجلة « الغد » البيتلحمية بعنوان « المال المدنس » .

ولقد اضفى هذا الاديب الطبيب على الخزانة العربية مؤلفات منها :

١ ـ تنظيم النسل ـ صدر عام ١٩٥٤ .

٢ ـ النكبة والبناء ـ صدرت طبعته الاولى في عام ١٩٥٦ ، وصدرت طبعته الثانية في عام ١٩٦٢ بعد ان ادخل عليها الدكتور قمحاوي من التعديل والتبديل والتطوير وملاحقة الاحداث ما جعلها احسن دراسة جامعة شاملة .

نموذج من نثره : (من مقال نشر في العدد (٤٣) من مجلة « العربي » بعنوان « عمر بن عبد العزيز ») « لم تستطع الانتهازية والرجعية ان تصبرا اكثر من سنوات قليلة بعد انبثاق الثورة العربية

الاسلامية بظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى اخذتا ترفعان رأسيهما ، لتعملا جاهدتين على استغلال تلك الحركة الجبارة لمنافعهما الذاتية ، والانحراف عن صراطهما ، وهو بناء مجتمع انساني كريم في هذه المنطقة من العالم ، تكتمل فيه للشخصية العربية مقوماتها وتكون سيدة مصيرها ، بينما تذيب الاخوة والعدالة الاجتماعية الفوارق بين ابنائها كافة .

وكانت سيرة عمر بن الخطاب في خلافته صورة عن مقدرته العبقرية على استيعاب هذه الاهداف الكبرى للحركة التاريخية التي انضوى تحت لوائها ، ثم سار في مقدمة صفوفها . فقد كان اسلام عمر انقلابا على اوضاع المجتمع القرشي ورجعيته ، بل وعلى القشرة النفسية التي كانت قد ترسبت لديه وغلفت وجدانه .

ووجدت الانتهازية والرجعية متنفسهما الاكبر في عهد عثمان بن عفان ، فاخذتا تستوليان على مقاليد الحكم في سدة الخلافة وسائر جهاز الحكم في الولايات ، تبتغيان من ذلك الاستيلاء على خيرات الدولة العربية والاستئثار بكل ما في اقطارها والبلاد المفتوحة من ثروات ومرافق اقتصادية . وهكذا ابتدات في عهد عثمان سيطرة اسرة قرشية معينة على مقدرات الوطن والسياسة الاقتصادية .

واستطاع معاوية بن ابي سفيان ان يجعل الوطن العربي ملكا يتوارثه الابناء والاحفاد ، وكانه اقطاعية كبيرة وشعبه قطيع ضخم من العبيد . وقد كان التمرد ظاهرة شائعة ، لا يكاد يكبت في مكان حتى يبدو في عدة امكنة ، ولا يكاد يخمد شهرا حتى يستعر اواره شهورا. ولجأ الحكام الى الطريقة المعروفة لامتصاص نقمة الشعب وتلهيته عن اوضاعه الداخلية ، وذلك بسوق الناس الى الميادين الخارجية ، واول من دعا الى استغلال هذه الطريقة ، كان الذي اشار على عثمان بن عفان بقوله : « رايي لك يا امير المؤمنين ان تامرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وان تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك ، فلا يكون هم احدهم الا في نفسه ! »

وبعد نصف قرن من خلافة عثمان اوصى الملك الاموي سليمان بن عبد الملك بالعرش من بعده الى ابن عمه عمر بن عبد العزيز . ووجد هذا بني امية يمتلكون القصور والاراضي الواسعة ، ويتصرفون في بيت المال وواردات الدولة ومغانم الفتوح كما يشاءون ويتلاعبون مقدرات الناس وحرياتهم كما يهوون . وما ابلغ وصفه لذلك الجهاز الحاكم الفاسد المستغل في قوله : « الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز وقرة بن شريك بمصر ، ويزيد بن مسلم بالمغرب امتلات الارض والله جورا».

واين كان الشعب ؟ كان الشعب اما في داخل الوطن مرهقا بالمظالم ، مشغولا بالفتن ، تولدها النقمة وتورثها اهواء الحكام ، او في خارج الوطن يخوض معارك قاسية في بلاد الروم حيث كان الجيش العربي في ضيق ووضع حرج ، وفي بلاد الفرس حيث كان المسلمون بعد ان جاوزوا المدائن يقاسون اهوالا شديدة في حركة الفتح ، ويلقون مقاومة متجددة في كل شبر من الارض . ولا عجب في ذلك ، فقد كان العرب في امتداد حركتهم الاسلامية من الجزيرة الى بلاد الشام والعراق ومصر والمغرب يدخلون بلادا بينها صلات عنصرية وفكرية وتاريخية وواقعية تجعلها منطقة واحدة ووطنا واحدا . ولم يكن ذلك كله موجودا فيما بين هذه المنطقة وما وراء البحر الابيض من بلاد للروم والفرنجة ، او ما وراء دجلة من بلاد فارس والمغول .

كانت هذه اوجز صورة ممكنة لاوضاع الشعب العربي في اليوم الذي آل فيه العرش الاموي الى عمر بن عبد العزيز . ولعل ما كان منتظرا من الملك الجديد ان يسير في السبيل التي اختطها اسلافه ، فيبقى الوطن حظيرة يرتع في خيراتها مع اسرته والانتهازيين من حوله، ويذكي نيران التمييز والفرقة بين الناس ، ويلهيهم بفتوح عسكرية ومغانم خارج نطاق وطنهم . وكان هذا هو المنتظر من شخص نبت في اسرة شقت لنفسها هذا السبيل ، ونشا بين اناس كانوا هم المستفيدين الوحيدين من ذلك السبيل ، وكانت سيرة صباه وشبابه صورة طبق الاصل لما تمتاز به سير امثاله في كل زمان ومكان ، من ترف ومجون ونزوات على حساب الناس !

لكن عاملا ما او اكثر جعل عمر بن عبد العزيز ينهج النهج غير المنتظر من امثاله .. ولعل هذا العامل هو الدم الذي ورثه عن عمر بن الخطاب جده لامه ، ولعله كان معتزما ان يقتدي بجده هذا ويسير على صراطه بدلا من ان يتبع اسرته في سبيلها الانتهازي . وربما كان العامل المباشر ثورة وجدانه عليه لقتله ــ وهو وال على المدينة ، وبأمر من الملك حينذاك ــ احد المواطنين لمجرد انه سب الامويين ، فغدا دم خبيب القتيل حمام الطهر لوجدان عمر ، يذيب عنه قشرته النفسية الموروثة ويجعله في ثورة دائمة على كل القشور .

ولعل الاصح ان تكون هذه العوامل الثلاثة مجتمعة هي التي جعلته نموذجا فردا بين الملوك في التاريخ العربي .

وأيا كان السبب ، فان تصرفات عمر منذ اللحظة التي ولي فيها العرش تدل على وعيه العميق لحقوق الشعب ولمسؤولياته نحو هذا الشعب المالك الحقيقي لكل شيء . واول ما يثير الاعجاب التاريخي بتصرفاته ، انه لم يقبل ان يجلس على العرش لمجرد انه من الاسرة المالكة او لان الملك الراحل قد اوصى له بالعرش من بعده ... فقد ادرك عمر ان كرسي الحكم ليس متاعا يورثه فرد محظوظ لآخر ، وانما هو ملك الشعب يعطيه لمن يشاء ، وبارادته الحرة . ولم تقنعه مبايعة الناس له لدى سماعهم بوصية الملك السابق ، وانما وقف ليقول : « ايها الناس ! اني قد ابتليت بهذا الامر من غير راي كان مني ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . واني قد خلعت ما في اعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لانفسكم ! » .

ولعل عمر كان يتمنى ، وهو يخاطب الناس ويرفض ملكا تقدمه له يد غير يد الشعب وبدون علمه ... يتمنى لو اعفاه الناس من هذا البلاء ... ولكن الشعب الطيب عرف ان صاحب مثل هذا الراي والشعور ، جدير بكل ثقة وولاء ، فاذا بالناس اشد اصرارا واجماعا على البيعة ، تنبع من ارادتهم الحرة . وغادر عمر المنبر واجما من عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، والدمع يفيض من عينيه تجاوبا مع اناس فتح لهم قلبه فرفعوه على رؤوسهم . وكان يعني كل حرف من قوله لهم : « الا اني لست بخيركم ، ولكني رجل منكم ... غير ان الله قد جعلني اثقلكم حملا ! » .

وخارج المسجد ، حيث تمت البيعة ، كان الموكب الملكي بانتظاره، والشرطة مستعدة لمرافقته في الابهة المعتادة ، لكن عمر يصرفهم جميعا ، ويركب بغلته الخاصة ومعه وزيره ويمضي ، لا ليستقبل المهنئين ويتقبل فروض الولاء ، او ليمتع حواسه بما اعطيه من قصور واموال وامتيازات ... وانما ليقوم في يوم واحد بثلاثة اجراءات ذات مدلولات ضخمة وآثار بعيدة المدى ! »

٣ ــ الدكتور سليم سلامه

في ١٤ تشرين الاول من عام ١٨٩٥ ولد في رام الله عروس مصايف فلسطين وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية في مدينة القدس وتخرج في الكلية الانكليزية حيث تخصص في التربية والتعليم ثم مارس التدريس في القدس واشتهر كمعلم قدير اعجب به طلابه واحبوه .

ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها عن له ان يتابع تحصيله العالي فالتحق بالجامعة الاميركية في بيروت ، وتشاء الاقدار ان يعزف عن نزعته الغريزية هذه الى اللغويات والادب والتربية اذ

زين له بعض لداته مهنة طب الاسنان ، وكانت فلسطين في حاجة ماسة لها فالتحق بكلية طب الاسنان بالجامعة الاميركية في بيروت وفي عام ١٩٢١ تخرج برتبة « دكتور » بتفوق وزاول عمله بنجاح في القدس ورام الله وحيفا الى ان وقعت كارثة فلسطين فهاجر مع من هاجر صفر اليدين ونزل دمشق حيث توفر على الترجمة والكتابة فاقبل عليهما بشغف ونقل طائفة من الاثار الاميركية الى اللغة العربية ومما قاله ذات يوم لصديقه الاديب الفلسطيني الاستاذ نصري الجوزي : « لئن كان في النكبة بعض الخير فلنكبة فلسطين علي فضل اذ حللتني من مهنة كنت راغبا عنها ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

وفي عام ١٩٥٨ ودع دمشق الى رام الله مسقط رأسه وحبس نفسه بين قراطيسه واوراقه وصباح الخميس الواقع في ٦ حزيران ١٩٦٣ توفاه الله ودفن في مقبرة رام الله .

ولعل خير ما اختم به هذه النبذة ما قاله فيه المربي الاستاذ جورج شهلا ، استاذ التربية في الجامعة الاردنية ، وكان زميلا له في الدراسة والتدريس بالقدس ، فعندما صدر كتابه القيم « الوعي التربوي » اهداه نسخة سجل على صدغها هذه العبارة : « ارجو ان تطلعني على رأيك الصريح في الكتاب فانك كنت ولا تزال استاذا واديبا ، قبل ان تكون طبيبا ! » .

كان المرحوم الدكتور سليم سلامه من المع ادبائنا واطولهم باعا في الوقوف على روائع الادب الانكليزي واقدرهم في فن الترجمة الاصيلة.

آثاره القلمية : ترك المرحوم سليم سلامه طائفة من الآثار القلمية، نقلها من الانكليزية الى العربية ودونك اسماء بعضها :

١ ـ على المائدة الماسونية ، ٢ ـ قصة القديس مخائيل ، ٣ ـ الفصول الخمسة ، جزءآن ، ٤ ـ الجاني على نفسه ، ٥ ـ مرآة النفس ، ٦ ـ بحث في الحرية ، ٧ ـ صديقتي فليكا ، ٨ ـ الرعاد ، ٩ ـ كارولين وجوهرة ، ١٠ ـ المراهق ، ١١ ـ عصر الصحون الطائرة، ١٢ ـ السلام العظيم ، ١٣ ـ ابراهيم لنكولن : حياته ورسائله ، ١٤ ـ ابراهيم لنكولن : محرر العبيد ، ١٥ ـ الحلاق الفنان ، ١٦ ـ مصرع جبار (جزءآن) ، ١٧ ـ داويت ايزنهاور ، ١٨ ـ الخلف التنفيذي ، ١٩ ـ تقرير عن الذرة ، ٢٠ ـ في سبيل الصحافة ، ٢١ ـ الصواريخ والقذائف والاقمار .

نماذج من شعره : تميز الدكتور سليم سلامه بالفكاهة وخفة الروح واتسم شعره بالدعابة والرقة ، واغلب منظومه (اخوانيات) داعب بها اخوانا له من ابناء العشيرة الماسونية .

شيد الماسون في مدينة رام الله « قصر البرج » وفي ليلة افتتاحه القى الطبيب الاديب خطبة ختمها بالابيات التالية :

ماذا جرى للقبة الزرقاء   فتسربلت بالمجد والاضواء
ما للنجوم الزهر في عليائها   سطعت تلألأ في دجى الظلماء
وتسنم البدر العلى متهاديا   مثل العروس تتيه من خيلاء
والافق يبسم في المشارق داعيا   شمس الضحى لتقر في الجوزاء
والريح تنفخ في الجهات كجوقة   انغامها نفذت الى الارجاء
فتهب للرقص الغصون تمايلت   وثيابها حفت حفيف غناء
فاليوم عيد والسماء تصافح الدنيا بكل حفاوة وولاء
عيد لمحفل كوكب متالق   هو كوكب لمحافل الغبراء
قد شاد «قصر البرج» فهو سماؤه   والنجم لا يبدو بدون سماء
قصر بغايته ونبل مقامه   فاق الخورنق في حمى الزوراء
باهى باندلس قصورا شادها القدماء كالحمراء والزهراء
هي شهرة نالت بحسن روائها   ونقوشها ورياضها الفيحاء
وهو الذي قد بذها بجمال معناه   الخفي والفضل خير كساء
لا تعجبوا من محفل برجا بنى   هل يشغل البناء غير بناء
هذي فلسطين عفت اطلالها   وتناثرت احياؤها كهباء
وتفرقت افخاذها ايدي سبا   والم بالاهلين شر بلاء

فكانهم طعم لمطمع اجنبي   وكانها الميدان للهيجاء
وطن ثراه شاع في اجسادكم   وهواه للانفاس خير هواء
ابنوا قراه وعمروا ارجاءه   شيدوا معالم عزة وعلاء
ان لم تكونوا انتم بناءه   عبثا تزاول مهنة البناء

وفي صيف عام ١٩٢٩ اقام « محفل الكوكب » برام الله حفلة تكريمية للمرحوم متري فراج بمناسبة نقله قائممقام لقضاء رام الله فالقى الدكتور سلامه خطبة لطيفة اختتمها بالابيات التالية :

«فراج» فرج عن الاهلين كربتهم   اوسعهم فرجا ناشدتك الله
حقق اماني قوم فيك قد وضعوا   آمالهم كل ادناها واقصاها
واعطف على وطن أودت به علل   فبات في حالة تستنزف الآها
ما كنت بالمتنبي يرتجي صلة   من سيف دولته في مدحه باهى
لكنها النفس قد جاشت بما شعرت   فاستبشرت باماني منك نجواها
فمرحبا مرحبا هذي القلوب غدت   مثواك ما شئت ترضاها وتهواها

وفي مأدبة عشاء اقيمت في « محفل الشمس » بالقدس عام ١٩٣٢ ألقى الطبيب الشاعر هذه المقطوعة العذبة :

بان وجه المليحة الوضاء   في ظلام الدجى فعم الضياء
ورأى البدر نوره مستعارا   فتوارى وقد دهاه الحياء
واعترى الكوكب المنير ارتعاش   ففدا شمعة ذراها الهواء
قلت : من أنت يا مليحة؟ قالت: «محفل الشمس» قلت: نعمت ذكاء
لاق ذا الاسم بالمسمى فاكرم   بالمسمى وعاشت الاسماء

نموذج من نثره : (من كلمة القاها الدكتور سلامه في حفلة تأبين الشاعر المرحوم مطلق عبد الخالق التي اقيمت في الناصرة ظهر يوم ٢ ـ ١ ـ ١٩٣٨) « انطلقت السيارة تسير على أكف الهواء ، وانطلق القطار يجري على اجنحة البخار ، وفي انطلاقهما تلاقيا فتصادما ، وفي تصادمهما انطلقت روح « مطلق » من معتقلها الجثماني، بينما هي في طريقها للسعي الى اطلاق سراح المعتقلين الى الملأ الاعلى ولسان حالها يقول :

بني الناس دنياكم جيفة   وليس على أرضكم ما يسر !

ما اقصر الجسر الواصل بين الحياة والموت ، وما اوجز فترة الحاضر وهي برهة بين الماضي الازلي والمستقبل الابدي ، وكأني بوالده الجليل قرأ صفحة محياه ساعة ميلاده ، وتوسم فيه ما توسم، وتنبأ بنزعته ومصيره فالهم ان يسميه « مطلقا » !

عرفت الفقيد في ابان شبابه ، وعرفته في نفثات قلمه ومقطوعات نظمه ، فلم اجد اسما كاسمه ينطبق على مسماه ، ولم اجد وصفا كوصفه يطابق موصوفه !

كان « مطلق » مطلقا في جسمه وروحه
كان اديبا اديبا في علمه وسلوكه
كان شاعرا شاعرا في فنه وقلبه ! »

٤ ـ جورج شهلا

الشعار الذي نادى به هذا المربي الدؤوب قول كورنايل : « في سعادة غيري اجد سعادتي ! »

ولد « جورج » في بيت المقدس عام ١٨٩٤ وانهى دروسه الابتدائية والاعدادية في مدرسة الارسالية الانكليزية ، والثانوية في « كلية الشباب » عام ١٩١٠ وتلقى العربية على المعلم نخله زريق ، واكمل فيها صفي فرشمن وصفمور عامي ١٩١١ و ١٩١٢ .

وفي الحرب العالمية الاولى انخرط في صفوف الجيش العثماني متنقلا بين بير السبع ومعان والعقبة ، وفي عام ١٩١٨ التحق بالجيش العربي بقيادة الامير فيصل بن الحسين بالعقبة ، وبعد الانتصار الذي حققه الحلفاء في تلك الحرب عاد « جورج » الى القدس عبر مصر . وفي عام ١٩٢٢ قصد الجامعة الاميركية في بيروت ونال بكلوريوس في

انا والشعر

أنا لست ، لولا الشعر ، غيـر دياجر … من الهم ، لا يقوى علـى حملها الصدر
أذا جاءت الارزاء تفـزو ابـن أضلعـي … وعيل ، من الطعن الذي يذهل ، الصبر
لجات الـى شعـري ، ففـل مصائبي … وكفكف دمـع القلب بالراحـة الشعـر
فمـا سدد الدهـر الخؤون سهامـه … الي ، ومـن عاداته الغش والغـدر
وكان حليفي الشعر في حومـة الوغى … يذود الردى ، الا لـوى وجهه الدهـر
وأدبر مهزومـا ، تسيـل جراحـه … وجـاد علـى رأسي باكليلـه النصر

صيدا ـ لبنان … محمد العدناني

العلوم والتاريخ ، وفي خريف عام ١٩٢٣ عاد الـى الجامعة طالبـا ومدرسا ونال الماجستير في التربية عام ١٩٢٨ وكان موضوع رسالتـه « امتحانات موضوعية احصائية للدخول الى الجامعات » .

وفي عام ١٩٣٣ قصد بريطانيا ودخل جامعة لندن ، ونال منهـا شهادة في التعليم ثم عاد الى هذه الجامعة فـي عـام ١٩٣٨ واحرز شهادة ماجستير في الآداب وموضوع الرسالة التي قدمها « المعلم في الادب العربي » ، وعاد الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا فـي دائرة التربية وظل يعمل فيها حتى عام ١٩٦٠ ، وفي هذا العام احيل على التقاعد وعين استاذا زائرا للتربية في الجامعة الاردنية بعمـان حيث امضى عامي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ و ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ثـم رجع الـى بيروت واتخذها دارة لاقامته .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ « شهلا » مقالات ادبية وتربوية في مجلتي « الكلية » و « الاديب » وزود الخزانة العربيـة بالمؤلفات التاليـة :

١ ـ مكافحة الامية ـ طبع عام ١٩٣٧ .

٢ ـ مبادىء التربية الوطنية (للصف الابتدائي الاخير) طبـع عـام ١٩٤٦ .

٣ ـ التربية الوطنية (للصف الثانوي الاخير) (مـع آخرين) طبع عام ١٩٤٨ .

٤ ـ مبادىء التربية الوطنية والاخلاق (فـي اربعـة اجـزاء للابتدائي) طبع عام ١٩٤٩ .

٥ ـ التربية الوطنية والاخلاق (فـي اربعـة اجزاء للثانوي) (مع آخرين) طبع عام ١٩٥٠ .

٦ ـ سلسلة امس واليوم (ثقافية وتاريخية) (في ٨ اجزاء) (مع الاستاذ شفيق جحا) طبع عام ١٩٤٨ .

٧ ـ الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية (مع الاستاذ عبد السميع الحربلي) طبع عام ١٩٦٥ و ١٩٦١ .

٨ ـ الموجز في تاريخ التربية ـ طبع عام ١٩٦٥ .

نموذج من نثره : « ان التطور الذي طرا على المعلم مـن حيث هويته قد مر في اربعة ادوار : في الدور الاول كان الابـوان وحدهما مسؤولين عن تربية الاولاد ، فالمجتمعات البدائية قبل آلاف السنين لـم يكن عندها مدرسة ، بل كانت العيلة مدرستها ، وكان الابوان يعلمان اولادهما عرضا من حيث لا يشعران انهما يقومان بدور التلعيم .

وفي الدور الثاني لم يعد الابوان وحدهما قادرين علـى سد الحاجات التربوية ، لان نمط الحياة في المجتمعات البدائية اخذ يتعقد ونطاقها اخذ يتسع ، بحيث انضمت الـى عناصرها الماديـة عناصر « روحية » لم يكن للابوين طاقة على حملها ، فاضطرا الـى الاستعانة بخبراء القبيلة الذين اطلق عليهم أسم « العرافين » ، وهؤلاء العرافون كانوا يزعمون معرفة اسرار الحياة الروحية واخبار « ارواحها وقرائنها» المستترة ، كما كانوا على استعداد لنقل هذه الاسرار والاخبار الـى الجيل الناشىء وتدريبه على طقوس ومراسيم خاصة يقصـد منهـا استرضاء تلك الارواح والقرائن واخضاعها لارادة بني البشر . وهكذا وكل الى العرافين امر العناية بشؤون الحياة الروحية ، بينما ظـل الآباء والامهات يعنون بشؤونها المادية .

وفي الدور الثالث لم يعد باستطاعة العرافين ان يضطلعوا بمهام تربية النشء ، وذلك لان اللغة المكتوبة كانت قـد استنبطت واودعت بعض المواد الثقافية ، فضلا عن ان هذه المواد كانت قد ازدادت غزارة وتعقدا . فصار لزاما على المجتمع ان ينشىء مدارس يجهزها بمعلمين اعدوا اعدادا ثقافيا يعرفهم بلغة الحروف قراءة وكتابـة ، وبالمواد الثقافية التي تتراكم وتتعقد مع تتالي الاجيال ، وكيف يمكن ان يضطلع العرافون بهذه الاعباء الفنية المستعصية وهم يجهلون اللغة المكتوبـة وما تحويه من الثروة الثقافية ؟

وفي الدور الرابع والاخير لم يعد كافيا ان يعـد المعلم اعدادا ثقافيا ، وذلك لانه اصبح واضحا ان المعلم لا يستطيع ان يقوم بمهمته التربوية قياما حسنا الا اذا اعد اعدادا مسلكيا يضيف الـى معرفته لمادة التدريس معرفة الطفل الذي يدرسه . ويقصد من معرفة الطفل تفهم طبيعته بما تنطوي عليه من حاجات ونزعات ورغبات ، فضلا عـن تفهم طبيعة عملية التعليم والتعلم بما تنطوي عليه من مبادىء تربويـة وسيكولوجية » .

عمان ـ الاردن … البدوي الملثم

الغريبان

الى ف .. رفيقة الغربة الطويلة

وجهك الباكي ..
يثير الشفقه .
أي تفكير به مستغرقه ؟
حبنا ؟ لا ينتهي .
قصتنـا ؟
قصة في يأسها محترقه .
كان ملاحا بليدا تائها ..
سدت الاحزان ظلما طرقه .
في خليج أهوج معتكر
حطم التيار فيه زورقه

ثم من كوة عينيك ..
رأى امـلا يدنـو
ودنيـا مشرقه
فتلاحمت وإياه بـلا
موعد في طرقات ضيقه
قلقا كان ، ووجها هائما .
أنت حطمت ، بصمت قلقه

أنت يا سيدتي بائسة
وأنا عبد اثير الشفقه :
وجنة غائرة ، مصفرة ..
والبقـايـا ...
رئـة مختنقه

أنا ، ان صدقت ـ يا مرتكزي ـ
في مهب الريح مثل الورقه
ضوء عيني ، وما يتبعه ..
جاءه لص حقير ، سرقه ...

أنت يا من تركت .. هودجها ..
وأتت صافية كالزنبقه
جئته وهو بلا متكا ..
ناعم يسند فيه مرفقة
كلما جاءك منهوك القوى
متعب .
مسحت عنه عرقه
باسكم يا اخت فيما بينكم
فهو سندان وانت المطرقه

هائـم
في رزقـه منحسر
فهو في دنياه كالمرتزقه ..
عشتما احزانكم في دارة ...
وحشة الصمت ..
وبابا مغلقه .
انمـا يكفيه في غربته
أنت في وجد به ملتصقه

بغـداد

حارث الوفي



بقلم عبد الحميد الانشاصي

زوجتي الحبيبة سعاد !

تحية شوق وحب .

مضى علي شهر دون ان ارى وجهك الذي يحتوي على خلاصة ما تبتهج به عيناي من مبهجات الحياة ، واسمع صوتك المشبع بانغام طبيعية تطربني بلا فن ولا فنان ، واجلس بجانبك جلسة مستأنسة تغني عن جلسات الاصدقاء . انا الآن وحيد. آكل في المطعم وحدي ، وانام في غرفة بالفندق وحدي ، واسير متنزها وحدي ، واجلس في المقهى وحدي . قلما التقي صديقا لي او اتحدث الى احد معارفي ، لقد اشتقت الى الاستماع الى ما تعودت سماعه من حديثك عما جرى لجاراتك وصديقاتك ، والى تناول صحون الوان الطعام الشهي من يديك الجميلتين الانيقتين ، والى تسريح نظراتي في وجهك الفتان وانت واقفة على مقربة من الباب تودعينني حينما اخرج من المنزل لقضاء حاجة لنا في السوق . الحق ان الدنيا بدونك لا تساوي شيئا . نعم ، لقد مرت علي بعض ساعات سعيدة في هذه المدينة ، ولكنني لم استطع ان اتذوق ما فيها من سعادة لانك ملح سعادتي وهنائي .

ان هذه المدينة جميلة الشكل : عماراتها شاهقة ودورها فخمة وحوانيتها عامرة بأنواع البضائع الضرورية . وهي حية بحركة السيارات الخاصة والعمومية التي تسير في شوارعها الرئيسية واسواقها العديدة يتلو بعضها بعضا كحبات من سبحة في يد تقي . ولكن ماذا اقول لك يا اعز انسان علي ؟ ان هذه المدينة خالية من كل ما يثقف ويسلي في آن واحد . لا مسارح ولا متنزهات عامة ولا دور للاوبرات ولا مسارح للتمثيليات او المغنين والمغنيات او الفرق الموسيقية . وليس فيها من النوادي سوى النوادي الرياضية . اما النوادي الثقافية فهي شيء لم يخطر في بال الذين يديرون شؤون هذه المدينة الحديثة الجميلة . لا شيء ليتسلى به الناس هنا سوى الجلوس في المقاهي ، وممازحة بعضهم لبعض من حين الى آخر ، وقراءة الجرائد والمجلات المصورة المعروضة في كثير من الامكنة حتى على الارصفة التي يسير عليها المارة . وكثيرون من الناس المتسلين بالسير على تلك الارصفة يتفرج بعضهم على بعض كما يتفرج الجالس في دار السينما على شريط سينمائي امامه . مرارا صادفت في طريقي وانا اسير على احد تلك الارصفة رجالا يمشون مشية كسلى لا هدف لها ولا مقصد . وهذا ما يجعل من يمر بهم مستعجلا يصطدم بهم فيدفعهم او يدفعونه . ومنهم من يقفون في منتصف الرصيف وبعضهم يتحدث الى بعض دون انتباه لمن يسيرون حولهم كأنهم جالسون في مقهى . لقد بدت لي المدينة جسدا بلا روح .

لاحظت ان الاهلين هنا يقبلون على حوانيت البقول اقبالا مزدحما لشراء ما يحتاجون اليه من المواد الغذائية . وهذا ما لاحظته ايضا في سوق الخضراوات . اما المكاتب التي مررت بها في المدينة ، وهي نادرة جدا ، فقد كانت ابوابها فاغرة افواهها للهواء . رأيت عددا لا بأس به من المارة يقفون امام واجهات تلك المكاتب وهم يسرحون نظراتهم العجلى فيما عرض في واجهاتها من كتب يرون عناوينها غريبة عن عالم الكتب الذي يهوون العيش فيه ، ثم يواصلون سيرهم دون ان يشتروا منها كتابا واحدا . وبعضهم يؤثر الواحد منهم شراء علبة سجائر يدخنها على شراء كتاب يطالعه لبعد ذهنه عن فهم الكتب النفيسة . ومنهم البخلاء الذين يحلو لهم جمع اكبر عدد من الدنانير بدلا من ان يجمعوا اكبر عدد من الكتب الخالدة . ومنهم متحجرو العقول الذين يتوهمون ان الثقافة والمطالعة تفسدان العقول وتضعفان النظر . في اعتقادي ان الاهلين يرون ان المواد الغذائية التي تحفل بها حوانيت البقول هي من الضروريات وان الكتب الكاسدة في المكاتب هي من الكماليات .

في المدينة عدد كبير من الاطباء والمحامين والمهندسين الذين يحملون شهادات جامعية . لقد لاحظت ان ذلك العدد الضخم من المتعلمين ينقصه لغة التفاهم الذهنية فضلا عن ضعف معظمه في اللغة اللفظية. واعني بقولي «لغة التفاهم الذهنية» تلك الثقافة التي تنشأ من المطالعة العامة – مطالعة الادب من شعر وقصص وتمثيليات ، ومطالعة الكتب الاجتماعية والفلسفية والفنية من موسيقية ورسمية . لذلك بدا اولئك المتعلمون غرباء بعضهم عن بعض وعن العالم . ولا شيء يربطهم بمجتمعهم سوى المصالح الشخصية والاعمال اليومية . لقد اكتفوا بأن يبدعوا في الثقافة الاجتماعية دون ان يسعوا لكسب الثقافة الفكرية . انهم يعرفون كيف يستعملون الهاتف والآلة الحاسبة ، وكيف يقودون

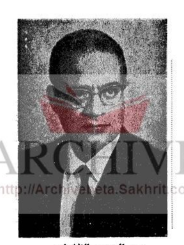


السيارات الخاصة . يدخنون كثيرا ، ويشربون القهوة كثيرا ، ولا يطالعون الا الجرائد ، ولا هم لهم الا تتبع اخبار الناس ولا سيما رجال السياسة منهم ، والاستماع الى تلك الاخبار منبعثة من التلفزيون والراديو . وهم بارعون في الحديث وفي ابتكار النكت وتوليد الابتسامات المشرقة . انهم يعرفون كيف يعاملون بعضهم بعضا : تارة يعمدون الى طرق الارضاء وتارة يستعملون طرق الاسخاط . لا اراهم مستقرين على حال ، فهم في ذلك يشبهون ميزان الحرارة . والمثقفون اجتماعيا لا فكريا هم اولئك الذين يكتفون بجمع المعلومات المحلية والسطحية ، واولئك الذين يركدون على المعلومات المجمدة كالاطباء والمحامين والمهندسين والموظفين والتجار .

لاحظت أن الاهالي كلهم يعيشون عيشة تفكك وضياع . انهم يشبهون ركابا في سفينة مشرفة على الغرق بين ايدي امواج صاخبة . ومما يزيدهم اشرافا على الغرق ان ربانتهم وهم المسؤولون عن ادارة شؤونهم ادنى منهم الى اليأس من النجاة وابعد منهم عن التفكير في ابتكار شيء ينجون هم والركاب به.

(الكلمات المحذوفة من الرسالة: انك يا زوجتي العزيزة الانسان الوحيد الذي يحبني ويهتم بي . وانا احبك حبا شديدا على الرغم من قلة محصولك من الثقافة والمطالعة . ان ذوقك سليم . انك تتفادين من الاساءة الي ، وتعرفين كيف تجلبين الي الغبطة والانس والراحة . وهذه امور عسيرة على كثيرين من المثقفين المطالعين . انني وان كنت اضن عليك بكلمة « حبيبتي » في اوقات المداعبة الا انني اذكرها في نفسي مرارا . ولولا شدة خجلي لذكرتها بلساني امامك مرارا) .

(الافكار التي لم تتحول الى كلمات : كان ينبغي لي الا اتزوجك واجلب عليك الشقاء يا حبيبتي ، فان المال الذي ادخرته للزواج لا يكفي لاحاطتك بالسعادة والهناء . ما الذي جذبني اليك ؟ اخلاقي ؟ بعد الخبرة تبين لي ان الرجال ينفرون مني لاستقامتي والتزامي الصدق . فهل انت ترين في ما لا يراه الرجال ؟ موهبتي ؟ ولكن الناس يزنون موهبتي بميزان المال والشهرة . وانا لم احرز مالا ولا شهرة . انني في انتظار كلمة تقدير يجود بها علي اديب ذائع الصيت من الرواد الشيوخ لكي يكون الناس



عبد الحميد الانشاصي

●

على ثقة بأن لي موهبة ادبية . معذرة يا حياتي ! الحق علي أنا . ارجو ان اجد في هذه المدينة عملا ينقذني من ورطتي) .

★

حياتي سعاد ! لقد شغلت افكارك بأشياء بعيدة كل البعد عن موضوع رسالتي . ان موضوع رسالتي هو البحث عن العمل . هذا ما يهمنا . لقد اثقل الفقر علينا حمله فاضطررت أن افارقك وامكث بعيدا عنك شهرا كاملا . وكان ينبغي لي ان ابعث اليك رسالتي هذه يوم وصلت الى هذه المدينة ، ولكن رأيت ان اصبر ريثما اجد عملا لا بأس به لانبئك بذلك فتشعري بالسرور يملأ نفسك وقلبك .

لقد تعرفت بسائق سيارة الوزير ... انه شاب محبوب . اصدقاؤه كثيرون على الرغم من انه شبه امي. انه يبدو في مظهر رجل وجيه . السيجارة لا تفارق شفتيه ، وبدلته جديدة منسجمة مع جسمه الرياضي القوي . والابتسامة لا تبرح عينيه وخديه وشفتيه ، كأنه في بحبوحة من العيش ولا يفتقر الى شيء مع ان راتبه ضئيل ولا ملك له . وهو هادىء الاشارات يخفض صوته اذا تكلم مع انه وضيع الاصل والمنبت. لعله اكتسب تلك الطباع من الوزير فانه يثني عليه كثيرا ويفخر امام اصدقائه ومعارفه بأنه سائق لسيارة ذلك الوزير .

مرارا رايت ذلك السائق المحبوب يدخل المقهى ثم يقترب من جماعة تلعب الورق . ولا تكاد انظار افرادها تقع عليه او لا يكاد هو يحييهم حتى يقفوا له رادين التحية في ترحيب واحترام . ثم يوسعون له فيجلس بينهم في مكان بارز . ويأخذون في التحبب اليه وهم يسألونه كيف صحته وحاله ، ويعربون عن شوقهم الى رؤيته في خلال المدة التي غاب فيها عنهم ، مع انه لم يفارقهم سوى اربع وعشرين ساعة ، اذ من عادته ان يجتمع اليهم في ذلك المقهى بعد العصر من كل يوم .

اعجبت بذلك السائق وان كان امره لا يعنيني . واستغربت ان يفيض عليه اصدقاؤه ومعارفه كل ذلك الاحترام والاهتمام ، وقلت في نفسي : « لعل السبب في ذلك هو انه سائق سيارة الوزير » . ومن شدة اعجابي بالسائق وددت

ان اتعرف اليه واتخذه صديقا لي. انه مثقف اجتماعي ، اي على عكسي تماما ، فانا كما تعلمين مثقف فكري . انني في حاجة شديدة اليه في الحياة العملية فهو متمم لي . ومن يدري فقد اتمكن من طريقه من العثور على عمل في وظيفة يشرف عليها وزيره .

اقتربت ذات يوم من السائق وجماعته حينما كانوا يلعبون الورق، ثم جلست بجانب الجماعة متفرجا. وما كدت أفعل ذلك حتى شعرت بعيون افراد الجماعة تلقى علي شبكة في استطلاع شديد . لقد ادركوا انني غريب عنهم ، ولكنهم سحبوا شبكة نظراتهم دون ان يصطادوا شيئا ، فقد علموا انني لم اجلس بجانبهم الا للتفرج على لعب الورق . وهذا ما جعلني اشعر بخجل شديد ، وكدت انهض راجعا الى مكاني الذي كنت جالسا فيه من قبل .

لم املك وسيلة التعارف وهي علبة السجائر . انها رخيصة الثمن ولكن لها في ذلك الموقف قيمة غالية . فكرت في طريقة للتعرف الى الجماعة . واخيرا طلبت من صاحب المقهى ان يأتي بسبعة فناجين قهوة . ولما جاء صاحب المقهى بصينية تحمل الفناجين المطلوبة وهم بتوزيعها على الحضور قال احد افراد الجماعة لصاحب المقهى متلفتا حوله : « من طلب القهوة ؟ » . فاجاب هذا مشيرا الي : « الاخ » . فشكرني أفراد الجماعة على ذلك .

وفي المرة الثانية انتظرت ريثما قدم سائق سيارة الوزير فنهضت من مكاني وذهبت الى جماعته ، ثم جلست بجانبه ، فرحب بي كأنه يعرفني منذ عهد بعيد . قدمت اليه علبة سجائر كنت قد اشتريتها لهذا الغرض . فتناول منها سيجارة ، وراح يدخن . وبعد ذلك طلب لي السائق فنجانا من القهوة.

واخذنا نتحدث . وقد شغلنا الحديث عن التفرج على لاعبي الورق . كاشفته بحقيقة امري وانبأته انني ابحث عن عمل . فوعدني بعرض امري على الوزير لعله يعينني في وظيفة مناسبة لي قائلا : « ان الوزير رجل طيب القلب نافذ الكلمة كثير المساعدات ولا يرد لي طلبا » . ثم جعل يحادثني عن علاقته الوثيقة بالوزير وعن اهتمام الوزير به وعن رفع الكلفة بينهما اذ كثيرا ما يمازحه الوزير ويضحك معه ويفشي اليه اسراره كأنه صديق له .

وبعد ايام اجتمعت الى السائق لاتعرف اخباره مع الوزير ، فأعلمني ان الوزير حاول ان يجد لي عملا في وزارته ولكنه لم يتمكن من ذلك لان الوزارة في حاجة الى شاب جامعي يحمل شهادة في الاقتصاد، وانا كما تعلمين لا احمل من الشهادات الا الشهادة الثانوية . ان تخصصي بالادب لا تؤيده شهادة جامعية . والادب لا نفع فيه في الوزارات .

وهكذا فشلت يا عزيزتي . قد تلومينني وتقولين لي : « لماذا لم تتخذ موظفا كبيرا مثقفا واسطة لك بدلا من ذلك السائق البسيط ؟ » . واجابة على سؤالك اقول لك : « انني لم اتخذ اصدقاء لي الا من الادباء والمثقفين ، ولكن هؤلاء لا يفيدونني شيئا ، فمنهم الحاسدون الذين يناوئونني وينصبون لي فخاخ الغدر والغش . ومنهم المادحون الذين يثنون على موهبتي الادبية دون ان يمدوا الي يد المساعدة . ومنهم المتحسرون الذين لا يكون نصيبي من مساعدتهم سوى كلمات التأسف على ما القى من اهمال وعدم تقدير » .

(الكلمات المحذوفة من الرسالة : لو عرفني ذلك الوزير على حقيقتي لعينني في منصب رفيع فانني اهل لذلك . ولكن ماذا افعل حتى اعرفه بنفسي وموهبتي وسعة اطلاعي ؟ ان الوزير لاه باستقبال الوجهاء وتوقيع الكتب . ما كان لي ان اتعرف الى ذلك السائق المتواضع وانا الاديب المعروف . ولكنها الحاجة . بئست الحاجة وبئست الوظائف !) .

(الافكار التي لم تتحول الى كلمات : ما أسوأ حظي ! ان سوء حظي لزمني بسبب الادب ـ التخصص بالادب . طالعت كتبا كثيرة فمهدت لي المطالعة طريق التفكير . وانا الآن امتاز بموهبة التفكير الادبي . اعرف كيف امتع القارىء ، ولكنني لا اعرف كيف امتع نفسي . وهذه جناية الفكر على صاحبه في بيئة لا يهمها الا المادة والمظهر . لو انني املك ما يكفيني من المال لما قبلت ان اعين وزيرا ، فان حريتي اثمن من كل الوظائف) .

★

حبيبتي سعاد ! في هذه المرة تعرفت الى مغن . ان المغني يختلف عن السائق ، فان له جمهورا يحبه ويحترمه ، وان كان من المثقفين الاجتماعيين كالسائق . ان له موهبة نادرة وهي جمال الصوت . صوته عذب يؤثر في نفوس المستمعين . انه لم يجهد نفسه في اكتساب جمال الصوت . لقد خلقت فيه تلك الميزة منذ صغره ثم بلغت ذروتها في شبابه . أما الاديب فهو يقضي سني حياته قارئا كاتبا ليلا ونهارا ، وقد ينجح في اواخر عمره . وفي الغالب يعيش مغمورا فقيرا .

ان ذلك المغني محبوب كسائق سيارة الوزير . انه محبوب لان صوته رخيم لا لانه صنيعة احد من الوجهاء او كبار الموظفين . ان كيفية التمتع بجمال الصوت ثقافة سهلة لا تتطلب من السامع جهدا ولا دراسة . وهذا على عكس الادب اذ

لا يستطيع ان يتمتع بالرفيع منه سوى اولئك المتعمقين في دراسته وتفهمه . وهذا ما جعل المغني محبوبا موفقا مفهوما والاديب مهملا فاشلا مبهما . اننا نرى المغنين الجدد يبزغون نجوما في سماء الفن واحدا اثر واحد ، ولا نرى لادباء الجدد يبزغون نجوما في سماء الفكر . ليت لي صوتا جميلا فأتدربعلى الغناء لعلي اصبح مغنيا مشهورا يعيش من واردات غنائه !

ان لذلك المغني وجيها كبيرا يحبه ويقربه اليه لكي يشنف اذنيه وآذان اصدقائه في حفلات السمر التي يقيمها الوجيه من حين الى آخر . وذلك الوجيه واسع الثراء. انه يملك دورا عديدة يؤجرها للناس . وله كثير من الحوانيت مؤجرة ايضا . وفضلا عن ذلك فانه يشرف على ادارة متجرة كبيرة فيها الوان كثيرة من البضائع ويعمل فيها عدد من الكتبة والضاربات على الآلات الكاتبة . سعى المغني لتعييني موظفا عند ذلك التاجر . وقد نجح في مسعاه .

انا الآن يا سعاد كاتب في حانوت تاجر . لقد تعلمت كيف امسك دفاتر الحسابات . انني على سعة اطلاعي في عالم الادب مبتدىء في عالم التجارة . وراتبي وان كان ضئيلا – عشرين دينارا – الا انه يكفي لمعيشتنا معا . وقد وعدني التاجر بزيادة راتبي بعد مضي سنة على تاريخ تعييني . ان خبرتي بدقائق اللغة العربية لا يفيد شيئا في الاعمال التجارية . هنا الارقام تتكلم لا الحروف . ليس المهم ان يستعمل التجار لغة سليمة بل المهم ان يتقنوا الحسابات . ان الكتابة التجارية تستغرق كل اوقاتي ؛ من ساعة مبكرة في الصباح حتى اوائل الليل . غير انني وجدت في عملي مصدرا للرزق – للعيش . وهذا ما يسعدني ، لان فيه راحتك واستقرار نفسك . اليس كذلك ايتها الحبيبة الغالية ؟ كان الناس يعيبون علي تخصصي بالادب واتخاذه مهنة لي . انهم يعدون الادب مهنة الكسالى ومن لا يتقنون من الاعمال شيئا . فها قد اتخذت لي مهنة لها وزن عندهم .

ان موظفي المتجرة قوم مسلون اذ ينقلون الي اخبار المدينة وانا جالس في مكاني . وهم كرماء اذ يقدمون الي السجائر والقهوة . الحق انني اكتشفت في المتجرة عالما جديدا لم يكن يخطر في بالي ابدا . انا الآن اعيش في عالم العمل لا في عالم الفكر . وبذلك اجد فرصة لاكتساب خبرة جديدة انا بحاجة شديدة اليها وهي درس طباع العملاء والمشترين فضلا عن الخبرة التي اكتسبتها من معاشرتي لزملائي الموظفين . ولا شك ان كل هذا انتفع به في التأليف الادبي . ولا تنسي يا عزيزتي انني الفت عدة كتب وهي ما تزال محفوظة في شكل مخطوطات في مكتبتي ولم يطبع منها كتاب واحد افخر به ويخلد ذكري بعد موتي .

وارجو ان اجمع مبلغا من المال يكفي لطبع بعض مؤلفاتي . ان ذلك ممكن بعد زيادة راتبي . ليت في يدي بضع مئات مما يدخره ذلك التاجر من الوف الدنانير فأطبع كتبي وانشرها على الناس فقد كادت الارضة تأكلها .

اود ان اعلمك ان الوجيه التاجر اصبح الآن معجبا بي ، فقد كتبت له مرة كلمة طيبة القاها في احتفال كبير دعي اليه . وقد اثنى على تلك الكلمة عدد كبير من اصدقائه ومعارفه . وهو الآن يعزني كما يعز المغني . انه يستشيرني في كثير من الامور . مرارا دعاني الى الركوب معه في سيارته الفخمة ولا سيما بعد ان سليته بما رويته له من قصص الشعراء والادباء والقيته امامه من قصائدهم ونثرهم .

لقد طلبت من رئيسي ان يمنحني اجازة مدتها اسبوع فقط لاتمكن من ان اقلك وانقل اثاث منزلنا الى المنزل الجديد الذي استأجرته . هيئي نفسك للسفر يا حبيبتي ، فقد زال عنا كابوس الفقر والشقاء.

(الكلمات المحذوفة من الرسالة : لقد ولت تلك الساعات الحلوة التي كنت اطالع فيها كتبي الحبيبة واؤلف المقالات والاشعار . انني الآن حبيس في المتجرة لا ارى الا بضائع تباع وتخرج الى الرصيف وبضائع اخرى تشتري وتدخل المتجرة . وبدلا من ان اجالس الادباء واشترك معهم في حوار ممتع صرت اجالس من لا يفهمونني واخوض معهم في جدل تجاري بعيد كل البعد عن الافكار التي تلذني وتفيدني . يا لضياع وقتي !) .

(الافكار التي لم تتحول الى كلمات : انني اشعر اني تحولت الى شخص آخر كانني هويت من قمة جبل الى حضيضه . اخذت اتصور ان القراء سوف ينسونني فلا يذكرون اديبا اسمه (انور) عاش في هذه الحياة . اخشى ان تكون هذه الوظيفة سببا في موتي – موتي الادبي . سوف يقول الناس بعد بضع سنين : « لقد مات المثقف الفكري الذي كان يسمى الاستاذ انور واخذ مكانه مثقف اجتماعي يسمى انور افندي . لا ، لا . محال ان اموت . سأبذل جهدي في الاحتفاظ بمكانتي الادبية ووظيفتي التجارية . لا بد ان اجد الوقت للمطالعة والتأليف فقد خلقت لاكون اديبا على الرغم من كل شيء) . المخلص لك الى الابد « انور فريد »

عمان عبد الحميد الانشاصي

حكايـة عمـر

•

كبر فهذا صداح الشاعر الفرد   وأخشع فرجع الصدى آت من الخلد
في عالم المنتهى رايات اخيلتي   كرمى لاهل الحمى خفاقة البند
في كل قافية لحن وزغردة   وكل بحر قلادات من الزرد
غنت بها الحور فاستهوت ملائكها   هيفاء مغناجة شفافة البرد
في موطن الجن عندي ألف شاردة   محمومة تصطلي في ألف متقد

كانت حياتي دنيا كلها عقد   واي دنيا هوى تخلو من العقد
احببت ما شاء قلبي في تلهفه   احببت حتى لحاني في الهوى ولدي
غنيت للحب احلى ما شعرت به   في زحمة الشوق من روحي ومن جسدي
روعت كل دعي في الغرام فقد   بنيت عش الهوى في لبدة الاسد
ما كان أتعسني في ما خلقت له   لو ان قلبي لم يحبب ولم يرد
لو أنصف الحظ اعطاني ليسعدني   قلبين ، احياهما في الحب للابد
تركت نصفي اشلاء مبعثرة   في اليم،في الارض، في الاعصار،في الجلد
تلك النيازك في الافلاك غائرة   مشبوبة الوجد مما شاع من كبدي
لولا الهوى ما بدت في الافق مشرقة   والسحب بالغيث لولا الحب لم تجد

اسرفت في البذل من امسي فما بقيت   منه لفرط اعتدادي عزمة لغدي
لا ترفقن ببؤسي انني كلف   بما اغاني فقد صنفته بيدي
ما اليأس الا عياء لا نفوذ له   الى وجودي مهما فت في عضدي
ذاتي على العز والاكبار قد ربيت   ما نال مني سعاة المكر والحسد
مهما تحملت من سقم ومن عوز   لم اشك ضيما ولم انقم على احد
ما لنت الا لوهن في تطلعنا   الى المعالي .. وكنا سادة البلد
وما تألمت والاحداث تنكبنا   الا لقلتنا مع كثرة العدد
جالدت دهري بعزم قد من شمم   فقام يهزأ من عزمي ومن جلدي
ولذت بالصبر علي استرد به   ما ضاع مني ، فلم ينفع ولم يفد
فقلت والناس حولي في تلهفهم   شاكين من تعس ، باكين من نكد
ربي ، اتعمى عيون الخير عن نظر   واعين الشر في حرز من الرمد

ما خاب فالا ولو زلت به قدم   من شد ساعده بالواحد الصمد
هذي حكاية عمر كلها عبر   دنيا من البؤس في دنيا من السعد

بوينوس ايرس ـ الارجنتين   جواد نادر



الحركـة النقديـة

حول مذهب ابي تمام

تاريخها وتطورها واثرها في النقـد العربـي ـ تاليف الدكتور محمود الربداوي من كلية الآداب بجامعة دمشق ـ ٦١٢ صفحة ـ حجم كبيرـ طبع دار الفكر للطباعة والنشر ببيروت عـام ١٩٧٠

كتاب ضخم ومجهود تاليفه مثله : وضعه صديقنا نابغة الادب بجامعة دمشق الاستاذ الكبير محمود الربداوي .

ولقد كان جماعة من الكتاب قبيل عصرنا يضعون الفلسفة فـي نطاق الادب ولما اقبل على دراستها ومكابدة امورها الفلاسفة الافـذاذ اخرجوها من نطاق الادب وادخلوها في دنيا العلوم والمقولات العقلية . وما اجد عليّ من حرج ان اصنع هذا الصنع بالنقد ، فاخرجه من دنيـا الادب لاضع به في نطاق العلوم . لانه قائم على قواعد لا يغلب عليهـا الذوق ، فالذوق هو الذي افسد النقد ، وكان مشتقا من طمام الطيور اذ يقول اللسان العربي في تعريفه من نقد الطائر الحب اذا تخير سلمه، ونقد الشيء اذا بين حسنه من رديئه . وما كنت اوثر ان ارد حياض النقد مع المعاصرين لانه يجر ويـلات من الاحن فانتا لم ننس بعدما كان من الملائم والخصومة بين الاستاذيـن الموهوبين عباس محمود العقـاد ومصطفى صادق الرافعي حتى تجرأ الثاني وهو من اكبر الكتاب فـي العصر الحديث ان يصنع كتابا يسميه « على السفود » يثوي على ناره العقاد ويقذع في سبه ويصول في دوسه وتحطيمه . والعقاد كما سماه معاصروه بالجبار كان لا يعبأ بتلك الفتنة الادبية العمياء التـي نفعت الادب لكنها اضرت في الخلق والتقدير .

كنت اقرأ بين الحربين الماضيتين جريدة « كرنكوار » واعجب بها لانها كانت ادبية رفيعة الموضوع ولم ار فيها مرة اثرا لنقد عنيف او جارح كالذي نعرفه نحن العرب في كتبنا القديمة والحديثة ، اللهم الا مرة نقد بها الكاتب الالمعي « فرانسيس دوكرواسي » الشاعر والسفير الذي لا يزال حيا « بول كلوديل » نقدا عنيفا ، فقلت يا لله هذه احدى بنات الدهر تمر بهذه الصحيفة النقية . وابتلى صديقنا الكاتب الناقد الاستاذ محمد مندور ـ عليه الرحمة ـ بمعارك نقد كانت عنيفة وكنت اشاهده فيها محاربا على جبهات متعددة ، كان يتولى احداها الدكتور رشاد رشدي من جامعة القاهرة .

ذلك كلام قدمته بين يدي هذا الكتاب النفيس الذي غني بدراسة حركة النقد التي ثارت حول المذهب الشامي وهو مذهب ابـي تمام بالشعر . اذ كان هذا الشاعر العظيم قد بالـغ في ادخال المحسنات اللفظية والمعنوية في شعره حتى صارت قصائده كالطنافس المحبوكـة عن يمين وعن يسار بل لكانها فسيفساء اللفظ العربي المبين ، وكـان قد اختار استاذنا الاجل الدكتور طه حسين ـ بسط الله بعمره ـ حين زار دمشق في بعض حفولها الادبية القديمة فحاضر اهليها في مدرج الجامعة السورية عن مذهب ابي تمام بالشعر وسماه من ذلك اليوم « المذهب الشامي » .

والغريب من استاذنا الدكتور طه ان الشام لم تكن في يوم من ايامها مولعة بالزخارف والزراكش والتطريز والوشي وانمـا كـان المغاربة والاندلسيون مولعين بذلـك . واذا نظرنا فـي جدران مساجدهم وواجهـات بيوتهم وقصورهم وجدناها تعـج بالصناعة الموشاة . والغريب انه لم يظهر ذلك على شعرهم الا في قليل عكسه فيه امثال ابـن زيدون « باضحى التنائي » فانها قصيدة تكاد تميس بالحلة الشامية بالطريقة التمامية . وما قصد عميد ادب العصر بالطريقة الشامية الا ابا تمام الذي منشؤه من جاسم بحوران بالشام .

وكيف دار امر النقد فقد اختار صديقنا الدكتور محمود ربداوي نفسه للخوض في خضم زاخر قل من سلم من عبابه وامواجه المتلاحقة المتلاطمة ، فقد استهل كتابه هذا الجليل بكلامه على حركة النقد عنـد علماء العربية كابن الاعرابي وابي سعيد المكفوف وابي حاتم السجستاني والمبرور جمل معهم ناقدا هو ابو ذكوان ، فطربت لـه لانـه سبقني بتسمية ولده هذا الاسم وكنت نحت من اسمي كلمة « ذكوان » اسما لولدي الوحيد ذكوان المحاسني . وكنت اوثر في كلام المؤلف على هذه الطائفة القديمة المؤسسة لمذاهب النقد فـي الادب العربي ان يفـرد الناقد الاكبر ـ أبي عمرو بن ابي العلاء » بحثا ولو مختصرا الذي لـم يؤلف كتابا وانما كان مثل سقراط الذي الف الافلاطون فكان لـه خير كتاب وكان ابو عمرو بن العلاء تعقد له حلقان في المسجد الجامع سنة ١٥٤ للهجرة وما قبلها وبعدها بالبصرة وكان مـن مريديه وتلاميـذه الاصمعي وابن الاعرابي وابو عبيد العمري وسواهم كثر .

ثم يفتح المؤلف بابا جديدا اصحابه لم يكونوا في عداد النقـاد الذين اخذوا انفسهم بالنقد وهم الشعراء وما ابعدهم واكرههم للنقد، فينشيء بحثا طريفا جديدا في تاريخ النقد العربي باسم « النقد عند الشعراء » ولقد حدثنا الدكتور طه حسين في كتابه « شوقي وحافظ » وفي كتابه الذي سماه « من جديد الشعر والنثر » ان شوقيا والحافظ ابراهيم كانا يرهبان نقده ويدلفان اليه بالمودة بغية توقي نقده لهما .

ثم بحث المؤلف النابغ النقد عند الكتاب وهؤلاء لا ضير عليهم ان ينقدوا لان النقد يدخل في مرامهم ويطيب لهم امره .

فاذا جاء القرن الرابع للهجرة رأينـا الدكتور الربداوي يعرض حالات النقد عند الكبار من علماء العربية كالسيرافي ، ولا ازال اذكـر محاضرات ابي حيان التوحيدي واعجابه بابي سعيـد السيرافي وكيف كان هذا الادب من نوادر البطون وكذلك ابن جني الـذي وفاه المؤلف حق التعريف والتوصيف لاثاره وقد كنت بشرت الصديق المؤلف ونحن بالمكتبة العباسية بدمشق ان الدكتور صفـاء خلوصي استاذ الادب العربي بجامعة بغداد كتب الي انه يشتغل ليلا ونهارا فـي تحقيـق الشرح الكبير الذي شرحه « ابـن جني » لديوان المتنبي وسمـاه (الفسر) وقد ارسل الي المحقق الجليل الجزء الاول منـذ ايـام مـن شرح ابن جني ، هذا الذي كاد يكون في علمه وادبه اقرب الى الجـن منه الى الانس .

اما مقصد القول في حركة النقد القديمة ومكان حربها المحتدمة المقامة على ابي تمام فهو عند الصولي والآمدي وفي كتب هؤلاء مقابلات وموازنات بين ابي تمام والبحتري تظهر اول مرة كدراسة نقدية سليمة

● نعتذر عن الاخطاء التي قد تكون وردت في هذا المقال وذلك ان الاخ العزيز الدكتور المحاسني ارسل الينا النسخة الثانية المطبوعة على الآلة وحروفها مطموسة وقد اعيانا فك طلاسم حروفها « الاديب » .

في التاليف العربي الداخل في الادب المقارن والموازنات الشعرية .

ويظهر لك المؤلف ابتلاء المتنبي بالنقاد ولست اشك في انهم جميعا كانوا يحسدونه على غدوه وجوهر لفظه ولآلىء معانيه بل على نجومه وكواكبه فانه شاعر من عبقر يقطف انوار النجوم ووضعها في شعره الخالد سجين الدهور وافدح ما ابتلى به من الصاحب بن عياد الذي سميته الاديب السادي نسبة الى المركيز « دوساد » الذي كان يجلد شخوص رواياته في الحياة الجسمية والجنسية وكذلك الصاحب ابو المكايد الذي كان برد عفاته بالندم والخسران واعجب كل العجب لابي حيان ولقد سميته (الجاحظ الثاني) وما ازال امارس كتبه ومقابساته واشاراته وقد وفاه حقه من الدراسة والتحقيق صديقنا الاستاذ الباقعة الدكتور ابراهيم الكيلاني اذ وقف عمره امده الله فيه بالصحة والاقبال على التاليف بموضوع ابي حيان ونشر كتبه ومخطوطاته النادرة بعد تحقيقها المكين حتى هذه الساعة . وكان اخونا الرئيس عبد الرزاق محي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي قد اسهم في اثارة ادب ابن حيان منذ اكثر من ربع قرن . وقد شرحت في محاضراتي بكلية التربية بالجامعة اللبنانية اول عام ١٩٧٠ احاطة التاليف بموضوع ابي حيان التوحيدي فلا اشبع من الكلام عليه والتاسف على عمره وضياع كتبه وعمده الى احراقها بيديه .

ويعرض عليك الدكتور المؤلف كيف حوكم ابو الطيب المتنبي في محكمة القاضي الجرجاني وكيف انصفه من خصومه .

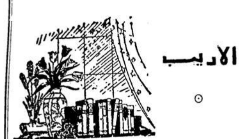
ثم يسوق البحث المؤلف حشود النقاد متابطين كتبهم ناشرين اعلامهم الخوافق فوق ابي تمام تارة يمدحونه وتارة يسفهونه وتارة يصفونه بالسارق فتجرأ احدهم ان يسمي بحثا برمته « سرقات ابي تمام » . كان كاتب المعاني وقفا على اصحابها وهي كما يقول الجاحظ ابو البيان وحارس العربية وسيد النقد والكتاب : « والمعاني مطروحة في الطريق ينالها العربي والعجمي ولكن كل الفضل لمن يضع المعنى باللفظ والتعبير المبين » .

ولقد احب الوقفة عند ابي العلاء المعري الذي جعل المؤلف من نقاد القرن الخامس للهجرة فابو العلاء عرض تمثيلية النقد في كتابه العظيم « رسالة الغفران » (١) اذ لم يكن نقده مسددا كالرماح العوامل في عصره وانما جعل نقده للكتب والمؤلفين وللشعراء والكتاب ولاهل اللغة مسوقا في تمثيلية هي التي قام فيها اديب حلب المعروف بدوخلة وهو علي بن منصور بطلا لها ومسرحها الجنة في مقاصرها ومتكآتها الوثيرة ومضى السرد بكتاب الدكتور الربداوي مسلسلا حتى ادرك القرون المتاخرة .

اقول : ان روح النقد منذ خفقت في صدور النقاد لم تقم الا على عطايا الفكر والمعرفة والبيان وسائر الفنون وما وجدت ناقدا سليما من هذه في نفسه وروحه وكنت الى جانب شيخ الكتاب الفرنسيين في عصرنا « اناطول فرانس » الذي يقول : اننا حين ننقد نشبه الاطيار في اقفاصها فارواحنا وافكارنا حبيسة ابدا فينا لم يفتح لها باب هذه الحبوس . منذ تناولت الكلام على الكتب والمؤلفات وهذا يعود الى خمسة وثلاثين عاما ان لا اتناول النقد وانما امارس العرض والتحليل مظهرا محاسن الكتب لانها زهرات اصحابها عاشوا حتى وجدوها ربا بالالوان والطيوب فكيف اسمح لقلمي ان يعبث بها تقطيعا وتوصيلا كل هذا اقوله لان مفهوم النقد عندنا كان زائفا ولم يكن صحيح العملة يتداوله السوق ببشرى واختيار وقد اتى حين من الدهر على المؤلفات وبخاصة في اوائل هذا العصر وبعد الحرب الاولى ان يصيبها الركود ان لم يتناولها النقاد ، حتى ان احد الكتاب المغمورين واسمه

---

١ - باستطاعة القارىء الكريم الرجوع الى كتاب (ابو العلاء ناقد المجتمع) طبع دار المعارف ببيروت الطبعة الثانية للدكتور زكي المحاسني .



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

« طانكريد مارتيل » انتحر تاركا رسالة تشرح سبب قتله نفسه يقول بها ان كتبه اهملها النقاد فلم يكتبوا عنها كلمة فبارت سوقها وعاش بها خاملا مجهولا . وقد هب الكتاب متأثرين بهذا الحادث الى ايجاد صندوق للكتاب المعوزين المغمورين سموه « صندوق مارتيل » .

ذلك لان النقد عند امم الغرب قد استولى على سوقه يعجب القراء سيما من الضغينة والتنافس وبعيدا عن اللذع والتجريح وقديما قال امرىء القيس : « وجرح اللسان كجرح اليد » . فالى الاستاذ الجامعي الدكتور محمود ربداوي تحياتي اذ خلا كتابه من التجريح وكان بريئا في عرضه .

دمشق — **زكي المحاسني**

•

رباعيات

للشاعر السعودي سعد البواردي – ١٤٤ صفحة – منشورات دار الاشعاع بيروت

هي التحفة الفنية الخامسة للصديق الاستاذ البواردي ، وهي تتمة دواوينه النابضة باحاسيس الشعر بعد كتبه الثلاثة – شبح من فلسطين ، وفلسفة المجانين ، واجراس المجتمع – التي تترابط وتتواجد بسلسلة المشكلات الانسانية ، واسرار الكون ، فيرى القارىء العربي في رباعياته البالغ عددها ٦٥ لوحات من التاملات الصافية ، والمشاعر الحارة الصادقة .

وسعد البواردي الشاعر ، في رباعياته ، مرهف الحس ، دقيق اللمسات ، في ذوقه وصياغته . شانه في ذلك ، شان ابن الصحراء الذي يستمد من جوها ، رحابة المعنى ، وسحر المبنى ، بكلمات تبرز فيها اصالة ابن الجزيرة العربية ، وعمق احاسيسه الوجدانية .

ولاول مرة يعتمد شاعر في رباعياته وقصائده على وحدة الصورة الحية ، لا على العنوان ، الذي جمله بحروف ، تكاد تشبه النجوم ، في ليالي القمر عندما يكون بدرا بين يدي سماء الصحراء ، وارضها الهامسة بالحياة النقية الطاهرة . وهذه الصورة الحية التي ارادها الشاعر البواردي ، انما هو يحياها بذاته وكينونته مع الناس ، بعيدا عن خداع العناوين ، ويعيشها بسحر التجريد الطبيعي ، على ان ابن الجزيرة العربية ، انما يستمد وحيه بلا حدود وقيود تعتصر رحلة النفس ، الى حيث المحبة الابدية التي عرفتها شاعرية الصحراء في الغوص على الجوهر ، والعيش في الاجواء الخصبة بالحب والخير والجمال .

ففي صلاته نسمعه يقول :

يا رب تجمعنا صلاتك كل يوم ... والدعاء
نهفو اليك ... تضمنا دور العبادة في اخاء
رغم القطيعة ... مزقت صلواتنا ستر الجفاء
عدنا اليك احبة ، عدنا لبيتك اصفياء

وفي التمني يقول :

لو انصف الناس يوما — تعايشوا بالتراضي
لو حكموا العقل فيهم — آت يتوج ماضي
حياض عدل .. وحب — تفضي لانقى حياض
لو اسلموا الحق نهجا — ما كان في الناس قاضي

ومن طرائف الاتفاق ان هذه المعاني الصادقة ، وما اكثرها في رباعيات الشاعر ، ابرزت عن سر النواميس الخالدة التي يعيش الانسان على مسرح حياته .

ففي رباعيته « الخطأ .. دلالة عمل » والتي يقول فيها :

اخطاؤنا ليست بعيب — عيبها في ان تكون(عمدا)
لا بد من خطأ لذي عمل .. وان الوى ، وجد
ولرب ذي خطأ افاد — وشاد عبر الدرس مجدا
كن مستعدا لا تخف — خطا..وسر..(كن مستعدا)

أجل : من عجائب الاتفاق ان يرتكب منضد الحروف في المطبعة خطأ الالتواء في شطر البيت « عمل .. وان الوى .. وجد » فكانت براءة العمل في الخطأ والتسامح مع العامل ، مولودة في العالم المجهول ، وقبل دفع الديوان الى المطبعة .

واذا كان شاعرنا لم ينحو نحو المدرسة الرمزية والمعقدات اللفظية ، فلان الشاعر قبل كل شيء ، هو التلميذ الروحي لعلامة العرب الشيخ حمد الجاسر ، امد الله بحياته ، والذي عرف بمؤسس المدرسة المعاصرة لاحياء التراث العلمي والحضاري في الجزيرة العربية . ولانه ايضا من الصحراء التي عرفت كيف تنشد على السنة شعرائها ، اجمل الاغاني دون حاجة الى الالغاز المغلقة ، والرموز المرهقة .

فلنسجل اذن لشاعرنا العربي النجاح مرة اخرى في رباعياته التي ولدت في ربيع عامنا الحاضر ، زهرة تعيش وتتفتح مع نفحات ربيع ابي تمام القائل :

دنيا معاش للورى حتى اذا — حل الربيع فانما هي منظر
اضحت تصوغ بطونها لظهورها — نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى — فكانها عين اليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كانها — عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها — فئتين في حلل الربيع تبختر
مصفرة محمرة فكأنها — عصب تيمن في الوغى وتمضر

طرابلس – لبنان — **محمد اديب غالب**

•

رجل غير معترف به

مجموعة قصصية – تاليف اسماعيل علي اسماعيل – ١١٢ صفحة – قطع متوسط – منشورات المطبعة القانونية بالقاهرة

هذه المجموعة الاولى للقاص الشاب اسماعيل علي اسماعيل تضم اثنتي عشرة قصة تختلف في مضمونها والتكتيك المستخدم في كتابتها .. لكن يمكننا تقسيمها الى اربعة اقسام رئيسية ، في هذه الاقسام الاربعة حاولت ان اضع القصص التي تعالج موضوعا بعينه مع بعضها البعض أي استخدمت المضمون كاساس لهذا التقسيم بقدر الامكان .

القسم الاول يضم نصف قصص المجموعة : الهارب الى سرداب قديم – ابن العملاق – ام تختار شاهد قبرها – حكاية وحكاية – الاطياف – المشاكس الصغير . وهي قصص تعالج الواقع الذي نعيشه بابعاده السياسية المختلفة ، يستخدم فيها الكاتب احيانا الرمز كما في الهارب الى سرداب قديم – وأي تلخيص للقصة يفسدها – نلتقي بالخوف وهي مشكلة الانسان منذ بدء الخليقة .. يتبعه دوما الهرب أو التحدي أو الاستسلام .. وفي حالة صاحبنا بطل القصة كان الهرب الى هذا السرداب القديم والاختفاء فيه .. وكطبيعة الانسان تبدأ محاسبة للنفس عسيرة وشاقة .. كيف ولماذا هرب ثم كيف ينقذ نفسه ؟..

وبانعكاس رمزي جميل تصور هذه القصة لماذا كانت النكسة .. في خوفه وعزلته .. في غرفته في آخر السرداب يبدأ البحث عن

الاسباب على الضوء المنبعث من النار التي اشعلها بدأ يقرأ وبـدأ يفهم ، بعد قراءة كل كتاب كانت تتضح امامه آفاق أشياء جديـدة ، وعند قراءة كل كتاب كان يتجسد له الآخر المتخيل في ركـن الغرفة وكان محتوى الكتاب يتمثل في طيف يقول له : لو كنت نظـرت تحت قدميك ، وقرأت الكتاب الثاني ـ ولا يخفى ما ترمز اليـه الكتب ـ ويقول المتخيل الثاني في ركن الغرفة : لو كنت نظرت خلفك ، ويقول الثالث : لو كنت تجاوزت ببصرك مكـان وجودك .. ويستمر فـي القراءة ويبدو أنه فهم كل شيء ، وان انسانا جديدا ينبعث من داخله .. بدأت عملية التحدي وقام ليواصل مسيرته ويقضي على الخوف .

لكن العمل الرمزي ليس بالضرورة ان يعكس للقارىء مـا اراد المؤلف ان يقوله او ان يخرج منه القارىء بالمعنى الذي اراده الكاتب ، ففناء العمل الرمزي يأتي من تعدد الايحاءات التي يعطيها للقارىء .. فهذه القصة « الهارب الى سرداب قديم » بغض النظر عن أي رمـز او اشارة لوضع سياسي معني ـ لو اخذناها من ناحية فنية .. فهـي اولا بغموضها الغير مستغلق على الفهم تشيع في نفس القارىء جـوا معينا يجذبه اليها .. وثانيا يمكنني ان افسرها او آخذها على انهـا تعبير عن حيرة الانسان وخوفه وانغلاقه على ذاته ، سواء باختياره او لان الاخرين يفرضون عليه ذلك بابتعادهم عنه وابتعاده عنهم كآخر هـو ايضا بالنسبة لهم .. تعبير وجود الانسان المتفرد في الكون .. كـل واحد في غرفته مغلقة في سرداب قديم لا احد يسمعه رغـم كـل المحيطين به ، ولا احد يحس به رغم كثرة المارين حوله .. والحل هل ينغمس اكثر في ذاتيته ؟ هل يجرب الكتب والثقافة .. يقـرأ ويفهم .. لكن ماذا بعد ؟ ارتفعت كومة العظام .. والتراب .. وتضاعفت الاشياء .. انضم اليها الكثير .. اشكال متضاربـة .. مختلفة .. زجاجية .. ومعدنية .. وآلات دقيقة .. وهل هذه هي نتيجة كـل مجهوده !. لكنه رغم كل ذلك يحاول التغلب على نفسه والقضاء على عزلته .. هل ينجح في ذلك ؟.. القصة تامل .. ونحـن .. الانسان المعذب يحاول .

في قصة ابن العملاق .. القضية التـي يعالجها المؤلف اوسع واشمل .. قضية خاصة وعامة في نفس الوقت .. التكنيك المستخدم في هذه القصة ثم اسلوبها الشعري يجعلها في نظري من اروع قصص هذه المجموعة ..

التكنيك يذكرني بالقصائد الشعرية حينما يستخدم معنيان فـي توضيح فكرة واحدة او تاكيد حقيقة واحدة رغم اختلاف هذين المعنيين وابتعادهما لكنهما يؤديان الـى تاكيد الفكرة التي فـي ذهن الكاتب . ما يحدث بين الهند والسند يحدث مثله او قريب منه هنا بين حلوان وشبرا ، ومن المؤكد انه يحدث ايضا في كل مكان الآن ..

ابن العملاق عاد بين الهند والسند وابن الباشا عاد بين حلـوان وشبرا .. عادا ليمارسا خداع الناس من جديد كمـا فعـل آباؤهم ، لكن حس الجماهير الصادق يكشف حقيقتهم .. وتبـدأ مسيـرة الانسان ..

ان هذه اللوحة الشعرية ، اشعر ان تحليل الرمز يفسدها ويقلل من الصورة الحقيقية لها .. هي تقرأ .. وتعطي احساسا بمـا اراده المؤلف بتركيبها المتداخل المتنقل بين زاويتين لينقل صورتين مختلفتين لمعنى واحد .. الاستعمار يغير من جلده دائما ويأتي باشكال جديـدة نظالمها كل يوم في كل مكان .. لكن وعي الجماهير اقوى مـن كـل أساليب الغش والخداع .

قصة حكاية وحكاية تشبه ابن العملاق مـن ناحية التكتيك .. فهو يقدم صورتين مختلفتين متناقضتين في الظاهر لكن فـي النهاية تقدمان معنى واحدا . وان قام الكاتب بفصل الصورتين وتقديم كـل منهما على حدة بعكس ما عمله في ابن العملاق حيث تداخلت الصورتان بشكل متتابع كلقطات الكاميرا .

في الحكاية الاولى : ذات ليلة مجهولة من عام مجهول اقتيد شاب الى القسم على يد شرطي دون تهمة .

في الحكاية الثانية : ذات يوم معلوم من سنـة معلومة هاجمت الذئاب القرية والعساكر نائمين والي جوارهم جوزة مالت على جنبها.

والرمز والاشارة لا تحتاج الى تفسير .. ولـولا الصلة بـين الحكايتين او على وجه الصدفة نتيجة لربط الحكاية الثانية بالاولـى انتفى من الذهن او استبعدنا التفسيرات والايماءات التي يشير لهـا الشاب في الحكاية الاولى والتي تقربنا الى صورة المتهم بـلا سبب جوزيف في قصة المحاكمة لكافكا .

القصص الثلاث : الاطياف ، الشاكس الصغير وأم تختار شاهد قبرها ، قصص مباشرة تنقل لنا مشاعر وانطباعات وتصرفـات بعض الناس وردود الفعل لديهم نتيجة لعلاقات مباشرة لمـا نتج عن النكسة في ميدان القتال .

والحقيقة اني لا أميل الى القصص الواضح المباشر الذي يقـول كل شيء للقارىء ولا يدع له لحظة يفكر ويتساءل ويدير في ذهنه مـا قرأ او محاولا تصور ماذا بعـد .. لذلك فانها اضعف ما في هـذه المجموعة .. ثم هناك ملاحظة بسيطة علـى قصة الاطياف .. القصة بدأت وسارت بطريقة جيدة لكني شعرت ان نهايتها كانت مفتعلة غيـر منسجمة مع الجو العام للقصة ـ هي قد تحدث ـ لكن درجة الصدق الفني لم المسها فيها ـ كانت بمعنى ادق تفتقر الى الاقناع ـ ولكـن ليس هذا هو المهم .. ففكرة القصة نفسها كفكرة عامة لقضية عامـة تثير التساؤل .. هل المشكلة هي عملية ثأر لزميل او رفيق قتـل .. مهما حاولنا ان نضفي على هذا الزميل من رموز أعتقد ان العملية اكبر من ذلك بكثير .

بعد ذلك ناتي الى القسم الثاني حسب ما قمت به من تقسيم ، وهو يضم ثلاث قصص : عينان تتحركان في بئر عميقة ، رجل غيـر معترف به ، والشيخ مهنا .. الانسان في القصتين الاولى والثانيـة لا نشعر انه مختلف .. فهو نفسه الـذي يتكلم .. امتـداد نفس المشاعر والاحاسيس .. تجربة ثانية تعبر عن الانسان الذي يشعر بثقل يشده في اتجاه معين قد يكون التقاليد ، قـد يكون نتيجة لتربية معينة ، يحاول ان يتردد على نفسه بان يكون كالآخرين كمـا يسمعهم ويراهم .. ويفشل في كل حالة بل يصاب بخيبة امل .. تبعث فينا الابتسام .. فهي حالة مشتركة فمن منا لم يصب بخيبة امـل في اي شيء ان لم يكن في كل شيء ..

وفي قصة الشيخ مهنا وقد ترددت في البداية في ضمها الـى القصتين السابقتين فهي في تفاصيلها تقـول الكثيـر وتعطي ايحاءات واشارات الى العديد من الاشياء لكن معناها الكلي ونهايتها الواقعيـة المباشرة باعدت بيننا وبين اعطاء هذه التفصيلات التـي رسمت بهـا القصة كثافة معينة .. فهي في كليتها لا تخرج فيما تقوله عما قصده المؤلف في القصتين السابقتين رغم الاختلاف الواضح بينهم ..

ورغم أن الكاتب يعبر بطريقة مباشرة فـي هذه القصص الا ان الاسلوب وصدق الحس الفني فيهـا يجعلنـا نحس بنفس حالـة الشخصيات ونعيش موقفهم الانساني كبشر .

القسم الثالث : يضم قصتين من اجمل قصص المجموعة : امـرأة وعجوز أبله والمعادلة .. والقصتان متشابهتان في التكنيـك والمضمون وان اختلفتا في التفاصيل ، كذلك من اوجه الشبه بينهما انه يمكـن اخذ كل منهما على مستويين :

المستوى العادي الواقعي والمستوى الرمـزي والاكتفاء تمامـا باحدهما او كليهما .. في المعادلة : ظلام ÷ مجهول = خوف + ثرثرة .. بجوها المشبع بالتوقع والانتظار .. تصور وحشة الانسان فـي الكون وخوفه من المجهول ـ الموت ـ ويمكننـي القول ان الشخصيتين القصير والطويل هما انسان واحد يتنازعه عامـلان : عامل الخوف

وعامل التحدي لهذا الخوف .. لحنين متضادين .. كما يحدث في نفس كل مناحين تعترضه او تقابله مشكلة ..

هذا الانسان يسير في الطريق المظلم ـ قد يكون طريق الحياة ـ يثرثر كي يبعثر خوفه الذي يحمله معه .. الخوف من الغادر الذي لا يميز من يختارهم فمرة يختار شابا في الثلاثين ومرة خفير زراعة او عروس صغيرة وهكذا .. ويتجه لهذا الغادر بحيله الانسان القديمة .. التمسح بسيدنا يريد ان يرهبه او يضحك عليه .. كما فعل الانسان دوما مع القوى التي يخشاها ، اما ان يجلها او يستعدي عليها قوى اكبر منها او يسترضيها بتقديم القرابين .. لكن الانسان هنا امام القدر .. يراه ولا يراه يلمسه ولا يلمسه .. تجسده الظلمة والمخاوف التي تنتاب الانسان خلالها ويبدده النور ويضيع منا في متاهة الحياة ومشاغلها ولا تتذكره الا في لحظات انتفاضة او لحظات الوحدة والضيق والظلام فيثير فينا الخوف والميل الى الثرثرة .

وفي امراة وعجوز ابله ، هذه المراة التي تبحث عن ابنها والكل لاه عنها .. الحياة في قسوتها تبعد الناس بعضهم عن بعض ، فيتكفل عجوز مجنون يستغل لهفة الام ويأخذها الى الصحراء حيث يقتلها هناك .. هذا العجوز المجنون .. المهرج .. هو الغادر الذي يخبط خبط عشواء في المعادلة ، هو ذلك المجهول الذي يقتل بلا معنى ويؤكد عبثية الحياة وتفاهتها هو ما تجسده كلمة الفناء من معنى.. لكن الامور تسير والناس لاهون وهم يتساقطون واحدا واحدا ..

وان كان بطل المعادلة في بحثه واتجاهه نحو سيدنا قد تغلب على خوفه او كاده ولست اريد ان احمل « سيدنا » هذا معنى اكبر مما يحتمله فارمز له بطريق الخلاص فربما ظلمت المؤلف فليس سهلا ان نلصق بمؤلف طريقا للخلاص هو لا يراه او لا يوافق عليه .. اقول ان بطل المعادلة اكثر حظا من تلك المراة التي في بحثها عن ابنها الذي تمثل المستقبل فيه كانت نهايتها ..

هذا النوع من القصص الذي يؤخذ بمعناه المباشر او بمعناه الرمزي او بالاثنين معا ، دون ان يكون هناك خلخلة في البناء .. من اكثر انواع القصص صعوبة في الكتابة واكثرها احتفاء به ايضا في الاوساط الادبية .. وفي اغلب الحالات لا تجيء هذه الامور بعفوية بل يخطط لها الكاتب ويضعها في ذاكرته اثناء كتابة العمل .. ومن ابرز الكتاب في العالم الان ومن اصحاب هذا الاتجاه الروائي الانجليزي وليم جولدنج فغالبية اعماله الروائية مبنية في اساسها على هذين المعنيين .

تبقى بعد ذلك قصة واحدة وهي لآلى بغير محار .. وهي قصة نسيج وحدها في هذه المجموعة في مضمونها وفي خلفيتها ايضا .. فهي قصة نفسية بكل معنى هذه الكلمة ولذلك لا بد من وقفة خاصة عندها ..

القصة تقدم لقطة من حياة امراة تشبه في رايي الانفجار .. المؤلف قدم لنا صورة هذا الانفجار .. وترك لنا تخيل كل ما سبق من تفاصيل واحداث .. كيف صنعت هذه الالغام ؟ وكيف وضعت ؟.. ثم كيف فجرت ؟.. لذلك فهذه القصة تتحدى القارىء باشياء كثيرة .. فقد ترك لنا المؤلف اعادة تصور حياة هذه المراة حتى بداية القصة، وتصور الاحاسيس المعقدة التي مرت بها الشخصية حتى وصلت الى درجة قررت فيها ان تحول هذه التراكمات الكمية الى تحول جديد في حياتها ...

منذ البداية نلمح هذا الاتجاه في ذهن الشخصية فالقصة تقول « دونهم جميعا اختارت طريقا مغايرا .. ساروا شرقا ، وسارت غربا ، وكانت تعرف ان طريقها الذي اختارته قد يكون امتدادا بغير نهاية وقد يكون مفتوحا على نهاية » .

منذ هذا الاختيار ـ الذاتي ـ النابع من طبيعة النفسية التي أضحت عليها الشخصية كانت مستعدة ان تفعل اي شيء عند اول لقاء مع أي رجل في مكان غير خاضع لضغط المجتمع . وللصدفة كان هذا الرجل ميتا .

حياتها السابقة حتى هذه اللحظة ـ لحظة اللقاء بالجثة ـ كانت محاولات فاشلة للتحرر من ضغط الجماعة وضغط المجتمع .. وتمنيات خائبة ايضا ـ كم تمنت ان يخطىء ابن عمها ويدخل غرفتها ولو مرة واحدة .. أو لو عرفت فقط ما يدور في ذهنه .. ـ وحياتها بعد ذلك اللقاء ـ امتداد لحياتها السابقة ولكن باحساسات جديدة احساسات ضاغطة ستقودها حتما الى محاولات ناجحة وتمنيات محققة ليكون لها ذلك الطفل الذي حلمت به يقضم بفمه الصغير ثدي عنزتها الفامرة..

امراة بكل ما تقدمه من ايحاءات كان يمكن ان تكون بطلة لقصة طويلة ، وعموما فالقصة مملوءة بالاشارات التي يمكن ان تفسر تفسيرا نفسيا وبالذات من وجهة النظر الفرويدية لكن ذلك يقودنا الى تفصيلات في طبيعة اختيار الالفاظ وعلاقة كل منها بالاخر وربط ذلك كله بخط سلوك البطلة وهو ما اشعر ان مناسبته ليست هنا .

ملاحظة اخيرة على هذه القصة .. قد ينظر البعض الى طبيعة الحدث في القصة بنوع من الاستبعاد ـ لكن ليس هناك مستبعد في امور النفس وغرابة اطورها ـ وان كنت اميل الى اعتبار هذا الحدث في القصة لم يقصد لذاته ولكن لهدف ابعد من ذلك .

وعلى العموم فليس غريبا على الآداب العالية امثال هذه الامور واقرب مثل لنا الى ذلك بعض مسرحيات فرناند أرابال .. والمسؤولية مسؤولية مسرح الطليعة .

وبعد تهانينا للكاتب على مجموعته الاولى ونتمنى له توفيقا اكبر في مجموعاته القادمة .

القاهرة — احمد عمر شاهين

•

القدس العربية : الحقائق التاريخية
تجاه المزاعم الصهيونية

تاليف محمد اديب العامري ـ ٦٠ صفحة ـ حجم متوسط ـ دار الطباعة والنشر بعمان

في جو مكفهر ... مشحون بالتوتر والانفعالات ... يطلع معالي المفكر الكبير الاستاذ محمد أديب العامري على العالمين العربي والاسلامي بدراسة تاريخية سياسية بعنوان « القدس العربية : الحقائق التاريخية تجاه المزاعم الصهيونية » وقد دلل فيها على ان اليبوسيين والكنعانيين العرب هم اول من أسسوا القدس ووضعوا اول حجر في بنائها وذلك منذ اربعة آلاف سنة قبل الميلاد او منذ ستة آلاف سنة من يومنا هذا ، وان هذه المدينة ظلت عربية طوال العهود التاريخية .

ولاعطيك صورة واقعية واضحة المعالم عن زهرة المدائن اجتزىء من الفصل الرابع من هذا الكتاب القيم العجالة التالية لتقف منها على مدى تضليل الدعاية الصهيونية وكذب اليهود على التاريخ في دعواهم المزيفة انها عاصمة داود عندما غزاها لاول مرة سنة الف قبل الميلاد ، وان حكم داود وابنه سليمان لم يعمر اكثر من سبعين سنة ! « دلت الحفريات الاثرية في القدس اليبوسية على وجود معابد خاصة لعبادة وثنية قديمة ، ووجدت معابد وثنية تشبه المعابد التي كان يقيمها الكنعانيون لالههم بعل واقام اليبوسيون لالهتهم معابد مثلها » .

وقد بنى اليبوسيون العرب في القدس هيكلا لالههم الاعلى « شالم » على مرتفع الضهور جنوبي ساحة الحرم الحالية . ولهذا السبب اعتبروا المدينة مقدسة ، وسموها ايضا « اورشالم » اي

مدينة الاله شالم . وعندما مر ابراهيم بالمدينة نحو ١٩٠٠ ق. م .او بعد ذلك كانت مقدسة في نظر اهلها . وتشير التوراة الى ان ابراهيم في زيارته تلك للقدس دفع لملكها ، وهو ملكي صادق ، قيمة العشر من كل ما يملك وبارك ملكي صادق ابراهيم ودعا لـــه قائلا ، بنص التوراة : « تبارك ابراهيم من الله العلي مالك اكثر رؤساء ممالك المدن اليبوسية والكنعانية يجمعون وظيفة الكاهن الى عمل الملك . ولذا كان ملكي صادق يدعى « كاهن الله العلي » وتشير التوراة ايضا الى قدسية المدينة قبل دخول ابراهيم اليها .

وقدس اليهود المدينة اول الامر على طريقة اليبوسيين وديانتهم ، ثم نجد منهم زمن سليمان وبعده من يصبأ (١) عن عبادة يهوه الى عبادة بعل والهة اليبوسيين والكنعانيين الاخرى . والتوراة تشير الى هذا الصبؤ « ارميا ٣٢ – ٣٥ » . وقد بنى سليمان هيكله على طراز هياكل اليبوسيين والكنعانيين . ومن المعلوم ان الكنعانيين عرب وان اليبوسيين بطن من بطونهم .

اما اسماء القدس التاريخية المختلفة ، فقد ورد منها في التوراة اسم « يبوس » كما وردت نسبتها الى اليبوسيين الذين روت عنهم انهم كانوا يسكنون اورشليم ، وان اليهود لم يقدروا على طردهم ، ولذلك استمر اليبوسيون في سكنى المدينة على الرغم من الغزوة العبرانية .

وسمى اليبوسيون ايضا المدينة « اورشالم » اي مدينة السلام ، وقيل ان النسبة هي الى « سالم » احد شيوخ اليبوسيين و « اور » تعني « المدينة » او « القاعدة » .

ووردت « اورشالم » في رسائل تل العمارنة ، وهي الرسائل التي بعث بها حاكم القدس وحكام غيرها من المدن الفلسطينية والسورية ، يستنجدون بفرعون مصر من هجمات العبرانيين «العبيرو» الذين كانوا قد بداوا يدقون ابواب فلسطين سعيا وراء الرزق والارض، وذلك خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وورد الاسم « يوري سليمو » في سجلات الملك سنحاريب الاشوري « القرن السابع قبل الميلاد » .

وقد ورد اسم « اورشالم » في التوراة ، التي كثيرا ما توردة مختصرا « شالم » فقط . ودعاها اليبوسيون والكنعانيون « اورشليم » و « يورشاليم » وقد ورد الاسم على هذا النحو في « نصوص الطهارة » وهي الواح مصرية ترجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي القرن الذي يظن ان ابراهيم مر فيه بالقدس .

واقرب شكل لاسم القدس كما يلفظه اليهود اليوم هو « ييروشلايم » . ان هذا هو الاسم الذي عرف عند الارامين العرب ، الذين كانوا في البلاد قبل ظهور اليهود والذين اشتق اليهود منهم ، ومن الكنعانيين ، لغتهم العبرية .

ولما استولى داود على القدس سمى المدينة باسمه فاخذوا يدعونها « مدينة داود » وبدأ اسم « يبوس » يختفي تدريجيا . ثم اختفى فيما بعد اسم « مدينة داود » ، وعاد الاسم « اورشالم » الى المدينة .

وقد وردت معظم هذه الاسماء في التوراة . ويظن ان الاسم « بازق » الوارد في مطلع سفر القضاة يعني « القدس » نسبة الى « ادوني بازق » اليبوسي احد ملوك المدينة . وجاء هذا الملك بعد « ادوني صادق » الذي قيل انه كان ملك القدس حين حاول يشوع فتحها . و « ادوني » اسم كنعاني عربي اقتبسه اليهود .

وفي اوائل القرن الثاني للميلاد سماها الامبراطور الروماني ادريان « ايليا كابيتولينا » أي « ايليا الكبرى » و « ايليا » من « ايليوس » اسم عائلة الامبراطور . وظل الناس يستعملون هذا الاسم مرة ، واسم « اورشليم » مرة وخاصة منذ منتصف القرن الرابع للميلاد .

واسم « ايليا » هو الاسم الذي تضمنته العهدة العمرية التي حررها عمر بن الخطاب لاهل القدس عندما دخل اليها سنة ٦٣٨ م . وبعد الفتح الاسلامي شاعت اسماء « القدس » و « بيت المقدس » و « دار السلام » و « قرية السلام » ، ومنها « مدينة السلام » .

اما « القدس » فتعني في اللغة العربية « القديمة » « الطهارة »، كما تعني « المكان المرتفع الذي يصلح للزراعة » و « بيت القدس » هو « البيت المطهر » أي المكان الذي « يتطهر به من الذنوب » . وفي القرآن الكريم « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » اي نطهر انفسنا لك .

واما اسماء « دار السلام » و « قرية السلام » و « مدينة السلام » فانها ترجمات لكلمتي « اور سالم » و « اور » تعني « قاعدة » او « مدينة » ، كما ذكرنا . والقاعدة والدار متقاربتان ، وكذلك المدينة والقرية ، و « سالم » بمعنى « السلام » ايضا .

وكما ادعى اليهود ادعاءات كثيرة تتعلق بانسابهم واعدائهم واعمالهم ، مما كشف التاريخ ويكشف باستمرار كذبه ، فان لهم ادعاء في تسمية « القدس » باسم « يراه – شلم » وهم يقولون : ان سام بن نوح قد سماها « شلم » أي « السلام » وابراهيم سماها « يراه » بمعنى « الخوف » فقرر الله ان يسميها بالاسمين معا أي « يراه – شلم » أي « اورشليم » والادعاء اسطوري من اساسه كما ترى .

من ذلك نلاحظ ان اسماء القدس كلها عربية الاصول ، يبوسية او كنعانية ، الا حين سماها داود او ادريان باسميهما اللذين ذهبا مع الايام ، حتى الاسم « اورشليم » اسم كنعاني و « ييرو شلايم » تعبير آرامي ، عربي .

كما نلاحظ ان قدسية المدينة عربية الاساس ، فقد دشن اليبوسيون هذه القدسية منذ اكثر من الف سنة قبل مرور ابراهيم بالقدس . ونحن نذكر ابراهيم لان الاسرائيليين يربطون نسبهم به . وهذا امر لا علاقة له بتكوين الجماعات الاسرائيلية ، وهو تكوين لم يتم الا عند ظهور موسى في نحو سنة ١٣٠٠ ق. م. ولم تكن ديانة ابراهيم يهودية اذ ان اليهودية بدأت من عهد موسى . والقدس مدينة مقدسة عربية قبل ان يقتحمها داود باكثر من الفي سنة .

اما قدسيتها في نظر العرب المسيحيين منذ الفي سنة وفي نظر المسلمين منذ اكثر من الف وثلاثمائة سنة فامره معروف » .

واذ نزجي معالي الاستاذ العامري تهانينا من الاعماق على هذا العمل القومي الجبار الذي اجترحه وقضيتنا احوج ما تكون الى قلمه الناضج وعقله النير لنهيب بجامعة الدول العربية وبوزارات الخارجية والاعلام والتربية والتعليم والمنظمات القومية في العالم العربي لنضع هذا الكتاب النفيس المدعم بالوثائق والاسانيد التاريخية بين ايدي السفراء والطلاب ليقفوا على ناحية تاريخية سياسية شوهتها الدعاية الصهيونية ومسختها الاطماع اليهودية حتى بات الناس في مشرق الارض ومغربها يصدقون ان القدس يهودية .. وان العرب وهم اول من بنوها وسكنوها وحكموها هم قوم وافدون .. طارئون .. ليبرروا بذلك اغتصابهم المدينة المقدسة وطمسهم معالمها الدينية والقومية ، وبالتالي ... تهويدها على الرغم من ان العرب هم اول من بنوها وقدسوها وحجوها .

ومرة اخرى نشد على يد معالي الاستاذ محمد اديب العامري ونصارحه بان الكلمات لا تكفي للاعراب عن الشكر وان الخدمة القومية التي اداها للتاريخ لخدمة يعجز سدنة التاريخ عن التنويه بها ، وان العمل الذي اجترحه بقلمه لعمل جليل فات الكثيرين من رواد السياسة والتاريخ ، ولم يفطن له الا عقل نير كعقل معالي الاستاذ العامري الذي جمع في اهابه المنطق والروية والاتزان .

عمان – الاردن

البدوي الملثم

١ – صبا : تدين بدين الصابئة .



● الفيبوبة – قصة تاليف رفقي بدوي – ٣٢ صفحة – مطابع الناشر العربي بالقاهرة .

● عودة الطيور المهاجرة – مجموعة شعرية – عبد الآله الصائغ – مصمم الغلاف حامد الهيتي – والخط لصادق الصائغ – ٨٠ صفحة – مطبعة الغري الحديثة في النجف العراق .

● ينداح الطوفان – رواية – تاليف نبيل سليمان – مصمم الغلاف نذير نبعة – ٣٤٤ صفحة – منشورات دار الاجيال – مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● عجائب القدر في ربوع لبنان – قصة – تاليف الدكتور ج. فرحات – ١١٢ صفحة – مؤسسة خليفة للطباعة بالبوشرية لبنان .

● تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم – تاليف الدكتور صبحي انور رشيد – مصمم الغلاف الدكتور خالد الجادر – ٣٧٤ صفحة – مع عدة لوحات اثرية – حجم كبير – منشورات المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● على خط النار – تاليف عبد الله السعد – ٨٨ صفحة – (المؤلف سعودي والكتاب صدر في بيروت) – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شاعرية الصافي – تاليف خضر عباس الصالحي – ٢٨٨ صفحة – حجم كبير – مطبعة المعارف ببغداد .

● يا نافخ الثورة البيضاء – شعر – سليم حيدر – تقديم بولس سلامة وعمر ابو ريشة – ٦٤ صفحة – حجم صغير – منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● صلوات الشيخ الازرق – مجموعة شعرية – فؤاد الخشن – ١١٦ صفحة – منشورات دار العودة ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الفرح ليس مهنتي – مجموعة شعرية – محمد الماغوط – صمم الغلاف عبد القادر ارناؤوط – ١٢٢ صفحة – منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اساطير ملهمة – شعر – الدكتور زكي المحاسني – ٩٢ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر .

● فلسطين لن انساك – ثلاث مسرحيات – تاليف نصري الجوزي – مصمم الغلاف اسكندر لوقا – الرسوم من كراس فتح – ١٠٤ صفحات – السلسلة المسرحية للطلبة – المجموعة رقم ٢ – مطبعة طربين بدمشق.

● عيون ظالمة – مجموعة مقالات وجدانية – تاليف لوسي يعقوب – تقديم محمد زكي عبد القادر – الغلاف والرسوم لجمال قطب – ١٢٨ صفحة – مطبعة دار العالم العربي بالقاهرة .

● قصائد عائلية – شعر – ميخائيل ابو عقدة – ٨٠ صفحة – مطبعة الشباب بدمشق .

● نظرات جديدة في تاريخ الادب – تاليف احمد لواساني استاذ الفارسية المساعد في الجامعة اللبنانية – ٤٣٢ صفحة – حجم كبير – (صدر في بيروت) – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قلب آخر لاجل الزعيم – مسرحية – تاليف حسن العشماوي – ١٨٤ صفحة – منشورات دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● التجديد في الادب الاندلسي – تاليف الدكتور باقر سماكة – ١٤٨ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتب دار الجنائن للطباعة والنشر ببغداد – مطبعة الايمان ببغداد .

● فارس مدينة القنطرة – مجموعة قصص – تاليف الدكتور عبدالسلام العجيلي – الغلاف واللوحات بريشة رفيق شرف – ١٩٦ صفحة – منشورات دار الآداب ببيروت – مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● الموسوعة الموجزة – تاليف حسان الكاتب – مراجعة وتقديم محمد خير الدرع – الجزء الاول – حرف الالف – ١٢٨ صفحة – حجم كبير – مطبعة العلم بدمشق .

● صراع العاطفة والضمير – رواية – تاليف حميد الخفاف – مصمم الغلاف هادي المواشي – ٩٦ صفحة – مطبعة النعمان بالنجف الاشرف بالعراق .

● قال الراوي – مجموعة قصص – تاليف محمود تيمور – تقديم الدكتور طه حسين ٣٤٤ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر بالقاهرة .

● المسافر – مجموعة شعرية – الدكتور رزوق فرج رزوق – مصمم الغلاف عزيز تابش – ٨٠ صفحة – ساعدت وزارة الاعلام على نشره – مطبعة الاديب ببغداد .

● فلاسفة يونانيون : العصر الاول – تاليف الدكتور جعفر آل ياسين استاذ الفلسفة المساعد بجامعة بغداد – ١٨٠ صفحة – حجم كبير – ساعدت جامعة بغداد على نشره – مطبعة الارشاد ببغداد .

● رباعياتي – للشاعر السعودي سعد البواردي – ١٤٤ صفحة – منشورات دار الاشعاع (؟) – (لم يذكر اسم المطبعة ولا اين صدر).

● جزر الخطيئة : ديفا وآدون – قصة واقعية – تاليف شكرالله الجر – ١٩٢ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الثقافة ببيروت – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شلحة ناي – مجموعة شعرية – علي الزيبق – تقديم سعيد عقل – الغلاف لرضوان الشهال – الخطوط لصلاح الشامي – ١٣٢ صفحة – منشورات المكتب التجاري ببيروت – مطابع جورج ابو عكر ببيروت .

● ديوان الياسري – للعلامة السيد حسن الياسري – جمعه ونشره وعلق عليه عبد الجبار الصاعدي – ١١٢ صفحة – مطبعة الاداب في النجف بالعراق .

● الاسلحة الكيماوية والجرثومية « ما يحضره اعداء الانسانية لافناء الاحياء » – تاليف الدكتور نبيل صبحي – ١٩٢ صفحة – حجم كبير – منشورات مؤسسة الرسالة ببيروت – مطابع دار القلم ببيروت .

● انا ملي ... لم – مجموعة شعرية – هدى النعماني – صمم الكتاب ولوحة الغلاف بسام نعماني ابن الشاعرة – ١٠٢ صفحة – مطبعة دار الكتب ببيروت .

● في شمال غرب الجزيرة : نصوص ، مشاهدات ، انطباعات – تاليف حمد الجاسر – ٦٧٦ صفحة – حجم كبير – منشورات دار اليمامة بالرياض – مطبعة المتنبي ببيروت .

● المجاز بين اليمامة والحجاز – تاليف عبد الله بن محمد بن خميس – ٤٤٤ صفحة – حجم كبير – منشورات دار اليمامة بالرياض – (لم يذكر اسم المطبعة) .